من مكايد الشيطان

تأليف

طه عبد الله العفيفي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

دار الاعتصام

من مكايد

الشيطان

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ
كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ
عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ
يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ
لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ
لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٧ "

الأعراف

الإهـــداء :

• إلَى أَعْـدَاءِ الشَّيْطَانِ وَأَحِبَّائِـهِ :

• وَإِلَى كُـلِّ مَنْ يُرَدِّدُ قَوْلَ ٱلقَـائِـلِ :

إِنِّ ٱبْتُلِيتُ بِأَرْبَعٍ مَاسُلِّطُوا
إِلَّا لِشِـدَّةِ شِقْوَتِي وَعَنَائِي
إِبْلِيسُ وَٱلدُّنيَا وَنَفْسِي وَٱلْهَوَى
كَيْفَ ٱلْخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي

..أُقَدِّمُ هَـذِهِ ٱلدِّرَاسَـةَ ٱلْمَوضُوعِيَّةَ عَـنْ :

(مَكَايِدِ الشَّيْطَـانِ وَمَـدَاخِـلِهِ)

تَذْكِـيرًا وَتَحْـذِيـرًا

سَـائِلاً المَـوْلَى سُبْحَانَه وَتَعَالَى أَنْ يُعِينَنَا عَلَى كُـلِّ شَيْطَانٍ رَجِـيمٍ ؛

المـؤلـف

تقديم

اخى المسلم / اختى المسلمة :

● من زمن بعيد وعلى وجه التحديد منذ نعومة اظفارى وانا أحمل فى نفسى بغضا وعداوة وحذرا من الشيطان الرجيم .

وقد يكون السبب المباشر فى هذا هو أننى كنت اقرأ عنه فى القرآن الكريم أثناء تلاوتى له وحفظى فيه قول الله تعالى :

● **« ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين »** (١) وقوله :

● **(الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ... »**(٢) وقوله :

● **« ... ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا »**(٣) وقوله :

● **« ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا »**(٤) .

الى آخر هذه الآيات القرآنية التى حدثنا الله سبحانه وتعالى فيها عن الشيطان وعداوته لنا فى سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، ويوسف ، وابراهيم ، والحجر ، والنحل ، والاسراء ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، والحج ، والمؤمنون ، والنور ، والفرقان ، والشعراء ، والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ، ولقمان ، وفاطر ، ويس ، والصافات ، وص ، وفصلت ، والزخرف ، ومحمد ، والمجادلة ، والحشر ، والتكوير ، والزخرف ، والملك .

هذا : بالاضافة الى الأحاديث النبوية الصحيحة وكذلك الآثار والأخبار التى كنت أقرؤها وأسمعها من السادة الوعاظ ، والتى كنت أحرص على

---

(١) البقرة : (من الآية ١٦٨ ، ٢٠٨) .
(٢) البقرة : (من الآية ٢٦٨) .
(٣) النساء : (من الآية ٣٨) .
(٤) النساء : (من الآية ١١٩) .

تسجيلها فى كتيب خاص حتى انتفـــع بها واعمـــل على نشرها ان اتيحت الفرصة لذلك .

وقد حدث فى محاضرة من محاضراتى الدينية بمسجد الفتح بالمعادى ان قال لى احد الاخوة الحريصين على حضور مجالس العلم :

أرجو أن يكون هنـــاك كتاب تحدثنا فيه عن الشيطان الرجيم وتحـــذرنا منه ، وانضم اليه عدد كبير من المسترشدين والحوا فى هذا .

وتلبية لهذه الرغبة التى كنت أفكر فى تنفيذها ، فقد قمت فعلا بعد أن استخرت الله تعالى باعداد هذه الدراسة الموضوعية ، عن مكايد الشيطان ومداخله ، مساهمة منى فى مجاهدة هـــذا العدو المبين ، الذى : ((**يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**)) .

وكلى امل فى أن : يجعل الله تعـــالى عملى هذا حربا على الشـــيطان وأعوانه ، حتى يتمكن العباد من اداء واجباتهم الدينية دون كيد أو تزييف شـــيطانى :

وحتى لا أطيل عليكما فاليكما هـــذه الدراسة الموضوعية عن مكايد الشيطان ومداخله :

* * *

مصادر الدراسة

- القـــرآن الـــكريم .
- رياض الصالحين ، من كلام سيد المرسلين : لمحيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى .
- الجامع لأحكام القرآن : تفسير القرطبى .
- تفسير القرآن العظيم : للحافظ بن كثير .
- حاشـــية الصاوى على الجلالين .
- قصص القرآن : محمد جاد المولى ، وآخرون .
- قصص الأنبياء : للشيخ عبد الوهاب النجار .
- فى ظلال القرآن : للأستاذ الشهيد : سيد قطب .
- اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان : لابن قيم الجوزية .
- تفسير المعوذتين : لابن قيم الجوزية .
- الوابل الصيب من الكلم الطيب : لابن قيم الجوزية .
- مصائب الانسان من مكائد الشيطان : لابن مفلح المقدسى الحنبلى .
- الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية : محمد منير الدمشقى .
- تلبيس ابليس : للحافظ الامام جمال الدين أبى الفرج عبـــد الرحمن ابن الجوزى البغدادى .
- قاموس : مختـــار الصحاح .
- قاموس : المصـــباح المنير .
- احيـــاء علوم الدين للامام الغزالى .

من هو إبليس ؟

● ● هناك آراء كثيرة ومختلفة حول التعريف بابليس وهل هو من الجن أم من الملائكة ؟

● ففى القرطبى :

يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قول الله تعالى :

« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين »(١) :

فى معنى قوله تعالى : **« الا ابليس »(٢)** : وكان اسمه عزازيل ، وكان من أولى الأجنحة الأربعة ثم أبلس بعد .

وفيه أيضا :

روى سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان ابليس : من الملائكة فلما عصى الله غضب عليه فلعنه فصار شيطانا .

وفيه أيضا :

حكى الثعلبى عن ابن عباس : أن ابليس كان من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم ، وخلقت الملائكة من نور ، وكان اسمه بالسريانية : **« عزازيل »** وبالعربية : **« الحارث »** فكان من خزان الجنة ، وكان رئيس ملائكة السماء الدنيا ، وكان له سلطانها وسلطان الأرض ، وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض ، فرأى لنفسه بذلك شرفا وعظمة فذلك الذى دعاه الى الكفر فعصى الله فمسخه شيطانا رجيما ..

---

(١) البقرة : (الآية ٣٤) .

(٢) كما هو ثابت فى القرطبى باختصار .

● وفى ابن كثير :

قال محمد بن اسحاق عن خلاد عن عطاء ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، قال : كان ابليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة ، اسمه « **عزازيل** » وكان من سكان الأرض ، وكان من اشد الملائكة اجتهادا واكثرهم علما ، فذلك دعاه الى الكبر ، وكان من حى يسمون حنا(١) .

وفيه أيضا : وقال سنيد ، عن حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : كان ابليس من اشراف الملائكة واكرمهم قبيلة ، وكان خازنا على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض .

وفيه أيضا : وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار حدثنا عدى بن ابى عدى ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : ما كان ابليس من الملائكة طرفة عين قط ، وانه لأصل الجن ، كما أن آدم أصل الانس .

وهذا اسناد صحيح عن الحسن ، وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم سواء .

وفيه أيضا : وقال شهر بن حوشب : كان ابليس من الجن الذين طردتهم الملائكة ، فأسره بعض الملائكة فذهب الى السماء . رواه ابن جرير

وفيه أيضا : وقال سنيد بن داود : حدثنا هشيم انبأنا عبد الرحمن ابن يحيى ، عن موسى بن نمير ، وعثمان بن سعيد بن كامل ، عن سعد ابن مسعود ، قال :

كانت الملائكة تقاتل الجن ، فسبى ابليس ، وكان صغيرا ، فكان مع الملائكة فتعبد معها ، فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا ، فأبى ابليس ، فلذلك قال تعالى : « **الا ابليس كان من الجن** » .

● وفى الاتحافات السنية ، قال محمد مئير الدمشقى رحمه الله :

ابليس : عدو الله وعدو رسله والمؤمنين ، وكنيته أبو مرة ، ثم قال : واختلف العلماء فى انه من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن ، أم ليس من الملائكة ؟ وفى انه اسم عربى أم عجمى ، ثم يقول :

قال النووى فى كتابه تهذيب الأسماء واللغات : والصحيح انه من الملائكة وانه عجمى .. ثم يقول : واختلفوا فى أنه من الملائكة ، فروى عن طاوس

---

(١) بالحاء لا بالجيم .

ومجاهد عن ابن عباس أنه كان من الملائكة ، وكان اسمه « **عزازيل** » فلما عصى الله تعالى لعنه الله وجعله شيطانا مريدا ، وسماه الله ابليس ، وبهذا قال ابن مسعود وابن المسيب ، وقتادة ، وابن جريج ، واختاره الزجاج وابن الأنبارى ، وقالوا فى قوله تعالى « **الا ابليس** » : وهو مستثنى من جنس المستثنى منه ، ثم قالوا : وقول الله تعالى : « **.. كان من الجن ..** » أى طائفة من الملائكة يقال لهم الجن .

وقال الحسن ، وعبد الرحمن بن زيد ، وشهر بن حوشب ، ما كان من الملائكة قط والاستثناء منقطع ، والمعنى عندهم : أن الملائكة أمروا بالسجود فأطاعت الملائكة كلهم وعصى ابليس .

ثم يقول : والصحيح أنه من الملائكة لأنه لم ينقل أن غير الملائكة أمر بالسجود ، والأصل فى الاستثناء أن يكون من جنس المستثنى منه والله أعلم ...

● وفى كتاب قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار رحمه الله يقول فيه :

ان ابليس لو لم يكن مأمورا لقال الله تعالى : انك لم تأمرنى ، حين قال الله له : « **ما منعك الا تسجد اذ أمرتك** » ولكنه أظهر التكبر ولم ينف الأمر ، ففهمنا أنه كان مأمورا ، وانه وان كان من غير الملائكة ولكن الله تعالى كان قد أمر الشاهدين لنفخ الروح فى آدم بالسجود وابليس كان حاضرا ، وانما عبر الله تعالى بالملائكة لانهم كانوا الجمهور الأعظم فى الحاضرين ، ووجود فرد من غيرهم لا يضر فى صدور الأمر على هذه الصورة ، فهو كان من الحاضرين المأمورين حقيقة وان كان غير ملك ، وليس لأحد أن يكون أقوم بحجة ابليس من ابليس نفسه .

● وفى كتاب « **فى ظلال القرآن** » ، يقول مؤلفه رحمه الله فى تفسير قول الله تعالى : « **الا ابليس ..** » :

.. ويوحى السياق أن ابليس لم يكن من جنس الملائكة ، انما كان معهم ، فلو كان منهم ما عصى ، وصفتهم الأولى انهم : « **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** » والاستثناء هنا لا يدل على أنه من جنسهم ، فكونه معهم يجيز هذا الاستثناء ، كما تقول :

جاء بنو فلان الا أحمد ، وليس منهم انما هو عشيرهم ، وابليس من الجن بنص القرآن ، والله خلق الجان من مارج من نار ، وهذا يقطع بأنه ليس من الملائكة .

● ● وأنا شخصيا مع هذا الرأى القائل بأنه من الجن وليس من الملائكة ، لعدة وجوه ، منها :

● قول الله تعالى عن ابليس : « .. **كان من الجن** .. » .

● وقول ابليس عن نفسه لرب العزة سبحانه : « **خلقتنى من نار وخلقته من طين** » .

● وان الملائكة كما تحدث الله تعالى عنهم : « **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** » : بالاضافة الى أنهم قد خلقوا من النور ، والجن قد خلقوا من النار .

● وأن ابليس له ذرية بعكس الملائكة .

● ● فهناك كما رايت فرق كبير فى حقيقة الملائكة والجن :

وعلى هذا فأنا أقول بالراى القائل بأنه من الجن ، والله أعلم .

● ● وقد قرأت فى كتاب مكاشفة القلوب للامام الغزالى رحمه الله ما نصه :

« **وروى** » أن ابليس كان اسمه فى سماء الدنيا : العابد ، وفى الثانية : الزاهد ، وفى الثالثة : العارف ، وفى الرابعة : الولى ، وفى الخامسة : التقى ، وفى السادسة : الخازن ، وفى السابعة : عزازيل ، وفى اللوح المحفوظ : ابليس وهو غافل عن عاقبة أمره ، فأمره الله أن يسجد لآدم ، فقال : أتفضله على وأنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ، فقال تعالى : أنا أفعل ما أشاء ، فرأى لنفسه شرفا ، فولى آدم ظهره أنفة وكبرا وانتصب قائما الى أن سجدت الملائكة المدة المارة :

فلما رفعوا رءوسهم ورأوه لم يسجد وهم وقفوا للسجود سجدوا ثانيا شكرا ، وهو قائم يرى معرضا عنهم غير عازم على الاتباع ولا نادم على الامتناع ، فمسخه الله من الصورة البهية ، فنكسه كالخنزير ، وجعل راسه كرأس البعير وصدره كسنام الجمل الكبير ، ووجهه بينهما وجه القردة ، وعينيه مشقوقتين فى طول وجهه وسحرية مفتوحتين ككوز الحجام وشفتيه كشفتى الثور ، وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير ، وفى لحيته سبع شعرات وطرده من الجنة بل من السماء بل من الأرض الى الجزائر فلا يدخل الأرض الا خفية ولعنه الله الى يوم الدين لأنه صار من الكافرين .

● ● وفى هذا القدر كفاية ، والله أعلم بالصواب .

* * *

من هو الشيطان ؟

● قال فى مختار الصحاح(١) :

الشيطان : معروف ، وكل عات متمرد من الانسان والجن والدواب شيطان . والعرب تسمى الحية شيطانا . وقوله تعالى : ((**طلعها كأنه رءوس الشياطين**))(٢) . قال الفراء : فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه شبه طلعها فى قبحه برءوس الشياطين لأنها موصوفة بالقبح . الثانى : أن العرب تسمى بعض الحيات شيطانا وهو ذو عرف قبيح . الوجه الثالث : قيل أنه نبت قبيح يسمى رءوس الشياطين .

والشيطان : نونه أصلية ، وقيل انها زائدة فان جعلته **فيعالا من قولهم** : (**تشيطن**) الرجل صرفته ، وان جعلته من تشيط لم تصرفه **لأنه فعلان** .

● وقال فى المصباح المنير(٣) :

وفى الشيطان قولان : أحدهما : أنه من شطن اذا بعد عن الحق أو عن رحمة الله فتكون النون أصلية ووزنه (فيعال) وكل عات متمرد من الجن والانس والدواب فهو شيطان . ووصف أعرابى فرسه فقال : كأنه شيطان فى أشطان . والقول الثانى : أن الياء أصلية والنون زائدة عكس الأول وهو من شاط يشيط اذا بطل أو احترق فوزنه (فعلان) .

● وقال القرطبى :

واختلف أهل العلم فى أصل الجن ، فروى اسماعيل عن الحسن البصرى : أن الجن ولد ابليس ، والانس ولد آدم ، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون ، وهم شركاء فى الثواب والعقاب ، فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولى الله ، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان .

وروى الضحاك عن ابن عباس : أن الجن هم ولد الجان وليسوا

---

(١) قاموس لغة عربية .
(٢) الصافات : (الآية ٦٥) .
(٣) قاموس عربى .

بشياطين وهم يؤمنون ومنهم المؤمن ومنهم الكافر ، والشياطين : هم ولد ابليس لا يموتون الا مع ابليس ...

● وقد ثبت أن مع كل انسان شيطانا :

فقد ورد فى حديث انفرد به مسلم : أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا ، قالت : فغرت عليه ، فجاء فرأى ما أصنع ، فقال : ما لك يا عائشة أغرت ؟ فقلت : وما لى لا يغار مثلى على مثلك ؟ فقال : أو قد جاءك شيطانك ؟ قالت : يا رسول الله أو معى شيطان ! قال : نعم ، قالت : ومع كل انسان ؟ قال : نعم ، قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال : نعم ، ولكن ربى عز وجل أعاننى عليه حتى أسلم .

وفى كتاب تلبيس ابليس يقول بعد هذا :

ويجىء بلفظ آخر : أعاننى عليه فأسلم ، ثم يقول : قال الخطابى : عامة الرواة يقولون : فأسلم ، على مذهب الفعل الماضى الا سفيان بن عيينة فانه يقول : فأسلم من شره ، وكان يقول : الشيطان لا يسلم .

قال الشيخ : وقول ابن عيينة حسن وهو يظهر أثر المجاهدة لمخالفة الشيطان ، الا أن حديث ابن مسعود كأنه يرد قول ابن عيينة ، وهو ما أخبرنا به ابن الحصين ... عن ابن مسعود برفعه :

(ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة ، قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياى ، ولكن الله عز وجل أعاننى عليه فلا يأمرنى الا بحق) : وفى رواية :

(فلا يأمرنى الا بخير) . قال الشيخ : انفرد به مسلم .

ثم قال : واسم أبى الجعد رافع ، وظاهره اسلام الشياطين ، ويحتمل القول الآخر .

● كما ثبت كذلك أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم :

فقد ورد فى حديث رواه البخارى ومسلم ، عن صفية بنت حيى زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفا فأتيته أزوره ليلا فحدثته

ثم قمت لأنقلب فقام معى ليقلبنى(١) فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : على رسلكما انها صفية بنت حيى ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله ! قال : ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، وانى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرا) : أو قال : شيئا .

ويحكى فى هذا عن الشافعى رضى الله عنه انه قال : خاف النبى صلى الله عليه وسلم أن يقع فى قلبيهما شيء من أمر فيكفرا ، وانما قاله صلى الله عليه وسلم شفقة منه عليهما لا على نفسه .

وجاء فى هامش هذا ما نصه :

ظاهر الحديث أن الله تعالى جعل للشياطين قوة وقدرة على الجرى فى باطن الانسان فى مجارى دمه ، ويحتمل انه من قبيل الاستعارة لكثرة اغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارقه دمه ، وقيل : انه يلقى وسوسته مسلم لطيفة من البدن فتصل الى القلب .

تنبيه وملاحظة :

● أما التنبيه فهو :

أن الشيطان لا يتمثل برسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد ورد عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا فان الشيطان لا يتمثل بى)** متفق عليه .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(من رآنى فى المنام فقد رآنى فانه لا ينبغى للشيطان أن يتشبه بى)** رواه مسلم .

● واما الملاحظة فهى :

حول الحديث الشريف الذى ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه والذى يقول فيه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اذا جاء رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين) متفق عليه .

وما فى جامع الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) ليقلبنى بفتح الباء : اى ليردنى الى منزلى ، وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد .

عليه وسلم : **(اذا كان اول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت ابواب الجنة فلم يغلق منها باب ونادى منادٍ يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار وذلك فى كل ليلة)** . حديث حسن .

فقد قيل فى هـــذا :

انه كناية عن افعال الخير التى هى سبب دخول الجنة ، وكناية عن ترك المعاصى التى فعلها سبب لدخول النـــار .

وزعمت طائفة أن معنى صفدت الشياطين أن النفس الخبيثة الشريرة مقيدة فى رمضان بالمردة من الانس ...

وقال الشيخ تقى الدين : تفتيح ابواب الجنـــة واغلاق أبواب النار وتصفيد الشياطين اذا دخل رمضان انما هو للمسلمين الذين يصـــومون رمضان لا للكفار الذين لا يرعون له حرمة .

وقد أجرى الامام أحمد الحديث على ظاهره .. والله أعلم .

* * *

الفصل الأول

بداية الكيد الشيطانى

وكانت بداية الكيد الشيطانى لأبوينا بعد أن قال الله تعالى للملائكته : **(انى جاعل فى الأرض خليفة)** أى : عن الملائكة الذين كانوا سكانا للأرض بعد الجن .

● وخلاصة هذا : هو أن الله سبحانه وتعالى كان قد خلق السماء والأرض ، وخلق الملائكة والجن ، ثم أسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض فعبدوا الله تعالى دهرا طويلا فى الأرض ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فاقتتلوا وأفسدوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجن رأسهم ابليس ، وهم خزان الجنان(١) فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى شعوب الجبال ، وجزائر البحور ، وسكنوا الأرض(٢) ، وكانوا أخف الملائكة عبادة لأن أهل سماء الدنيا أخف عبادة من الذين فوقهم وكذا أهل كل سماء ، وهؤلاء الملائكة لما كانوا سكان الأرض خفف الله عنهم العبادة فأحبوا البقاء فى الارض ، وكان الله تعالى قد أعطى ابليس ملك الأرض وملك السماء وخزانة الجنان ، فكان يعبد الله تارة فى الأرض ، وتارة فى السماء ، وتارة فى الجنة ، فأعجب بنفسه وداخله الكبر فأطلع الله على ما انطوى عليه من الكبر فقال الله سبحانه وتعالى له ولجنده(٣) :

(انى جاعل فى الأرض خليفة) : فظنوا أن ذلك قد يكون لتقصير وقع منهم فقالوا مستفسرين لا معترضين : **(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟)** ، فأجابهم الله تعالى بما أطمأنت له قلوبهم وثلجت صدورهم ، وهو قوله تعالى : **(انى أعلم ما لا تعلمون)** .

● وقد قيل أن السبب فى قول الملائكة : **((أتجعل فيها من يفسد فيها ..))** هو أن الله تعالى كان قد أخبرهم بأنه سيخلق بشرا ، وأنهم سيتحاسدون ، ويقتل بعضهم بعضا .

كما قال أكثر المفسرين : انهم قاسوا على الغائب فقالوا : **((أتجعل فيها من يفسد فيها ..))** كما فعل بنو الجان : فهو أول قياس فاسد قيس به الشاهد على الغائب : ورجح أكثر المفسرين والواقدى وجماعة هذا القول وأنهم قالوا قياسا على من سكن الأرض قبل من الجان فأفسدوا فيها فاذا قال القائل : من أين حكمت الملائكة على الانسان بالافساد وسفك

---

(١) جمع جنة .

(٢) أى سكن الملائكة الأرض بدلا من الجن المطرودين منها .

(٣) أو للملائكة بصفة عامة .

الدماء وذلك اما ادعاء علم الغيب او الحكم بالظن والتخمين وهم منزهون عن ذلك كان جوابه ما قلناه .

● ● ثم حدث بعد ذلك أن الله سبحانه وتعالى بعد أن سوى آدم — وهو الخليفة — من طين من صلصال من حمأ مسنون(١) ، وبعد أن نفخ فيه من روحه فسرت فيه نسمة الحياة وصار بشرا سويا : أمر ملائكته بأن يسجدوا لآدم — سجود تعظيم وتكريم(٢) — : « **فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين** » فسأله الله سبحانه وتعالى — وهو أعلم — عن سبب امتناعه عن السجود لما خلقه الله تعالى بيديه ، فكان جواب الملعون : « **أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** » : فكان جزاؤه ان قال الله تعالى له : « **فاخرج منها فانك رجيم ، وان عليك اللعنة الى يوم الدين** » .

● ● وحسبى وبعد هذا العرض السريع لكى نعرف قصة الصراع كاملة ثم بعد ذلك نناقش ما فيها من ملاحظات : حسبى : ان نقرأ قول الله تعالى فى سورة الاعراف :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ
فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ
إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ
فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ
﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا
أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ
أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ
شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا

---

(١) أى الطين الاسود الذى تغير فصار كالفخار له صلصلة .

(٢) وهو انحناء كسجود اخوة يوسف وأبويه له ، وقد كان تحية للملوك فى الامم السابقة .

مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا
رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾
وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا
الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ
وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ
الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا
وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾).

ففى تلك الآيات البينات يحدثنا الله سبحانه وتعالى — اجمالا — عن مدى العداوة الكامنة فى قلب هذا العدو المبين لأبوينا — آدم وحواء — ولكل أبنائهما الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وذلك حتى نكون جميعا على حذر من كيد هذا الشيطان الرجيم الذى يلعب دورا كبيرا فى حياتنا حتى نكون معه من أصحاب السعير ، كما أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا فى كثير من آيات القرآن الكريم التى من أهمها تلك الآيات التى وقفت عليها فى سورة الأعراف ، وحتى تفهمها بالتفصيل ، اليك :

المعانى والملاحظات
حسب ترتيب الآيات

● ولقد خلقناكم ثم صورناكم : اى خلقناكم نطفا ثم صورناكم .. وعن ابن عباس والضحاك وغيرهما : المعنى خلقنا آدم ثم صورناكم فى ظهره .. وقيل : المعنى خلقناكم فى ظهر آدم ثم صورناكم حين اخذنا عليكم الميثاق(١) . هذا قول مجاهد ، رواه عنه ابن جريج وابن ابى نجيح ، قال النحاس : هذا احسن الأقوال . وقيل : ثم ، للاخبار ، اى ولقد خلقناكم يعنى فى ظهر آدم ، ثم صورناكم اى فى الأرحام . قال النحاس : هذا صحيح عن ابن عباس .

● الا ابليس .. استثناء من غير الجنس ، وقيل : من الجنس ، وقد اختلف العلماء : هل كان من الملائكة أم لا ، كمـــا هو ثابت فى تفسير الآيات المشيرة الى هذا فى سورة البقرة (٢) ، وهى :

(واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون) .

الى قوله تعالى :

(فتلقى آدم من ربه كلمات فتـــاب عليـــه انه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

---

(١) كما تشير الآية ١٧٢ فى سورة الاعراف .

(٢) من الآية رقم (٣٠ — ٣٨) .

● قال فاهبط منها : أى من السماء(١) .

فما يكون لك أن تتكبر فيها : لأن أهلها الملائكة متواضعون .

فاخرج منها فانك من الصاغرين : أى من الأذلين ودل هذا على أن من عصى مولاه فهو ذليل .

● قال أنظرنى الى يوم يبعثون : أى سأل النظرة والامهال الى يوم البعث والحساب ، وذلك لأن يوم البعث لا موت بعده .

● قال انك من المنظرين : أى أنظره الله تعالى ولكن الى النفحة الأولى حيث يموت الخلق كلهم ، وكان الملعون قد طلب الانظار الى النفحة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين ، فأبى الله ذلك عليه كما تشير الآية الاخرى التى يقول الله تعالى فيها : ((.. **الى يوم الوقت المعلوم**))(٢) أى وقت النفخة الأولى : لأنه لا نجاة له من الموت والعذاب .

● قال فبما أغويتنى : أى باغوائك لى ، والباء للقسم(٣) ، وجوابه لأقعدن لهم : أى لبنى آدم . وهو يريد بهذا أخذ ثأره منهم لأنه لما طرد ومقت بسببهم أحب أن ينتقم منهم أخذا بالثأر .

والاغواء : ايقاع الغى فى القلب . وقال ابن الأعرابى : يقال غوى الرجل غيا اذا فسد عليه أمره ، أو فسد هو فى نفسه .

● لأقعدن لهم صراطك المستقيم : أى على الطريق الموصل اليك(٤) لأصدهم عنه حتى يهلكوا أو يضلوا ويخيبوا مثلى .

● ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم : أى من الجهات الأربع التى يعتاد الهجوم منها ، وهى الجهات الأربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت ، أما الفوق : فلكونه لم يمكنه أن يحول بين العبد ورحمة ربه كما قال ابن عباس ، وأما التحت : فلكبره لا يرضى أن يأتى من ذلك ويكثر اتيانه من أمام وخلف ويضعف فى اليمين واليسار لحفظ الملائكة . وذكر بعضهم حكمة أخرى : لعدم مجيئه من تحت لكون الآتى من تحت انما يريد الازعاج وهو يريد التأليف للغواية .

---

(١) أو من الجنة .

(٢) الحجر : (الآية ٣٨) .

(٣) ويصح أن تكون للسببية .

(٤) أو الى الجنة .

ومن أحسن ما قيل فى هذا كما فى القرطبى : أى لأصدنهم عن الحق ، وارغبهم فى الدنيا ، وأشككهم فى الآخرة . وهذا غاية فى الضلالة . كما قال : **« ولأضلنهم »(١)** .

وروى سفيان عن منصور عن الحاكم بن عيينة قال :

« من بين أيديهم » : من دنياهم .

« ومن خلفهم » : من آخرتهم .

« وعن أيمانهم » : يعنى حسناتهم .

« وعن شمائلهم » يعنى سيئاتهم : قال النحاس : وهذا قول حسن ، وشرحه : أن معنى : **« لآتينهم من بين أيديهم »** : من دنياهم حتى يكذبوا بما فيها من الآيات وأخبار الأمم السالفة . **« ومن خلفهم »** : من آخرتهم حتى يكذبوا بها : **« وعن أيمانهم »** : من حسناتهم وأمور دينهم . ويدل على هذا قوله : **« انكم كنتم تأتوننا عن اليمين »(٢)** . **« وعن شمائلهم »** : يعنى سيئاتهم ، أى يتبعون الشهوات لأنه يزينها لهم .

● ولا تجد أكثرهم شاكرين : أى موحدين طائعين مظهرين الشكر . وقيل أى مؤمنين .

ولهذا : كما يقول ابن كثير — فقد ورد فى الحديث الاستعاذة من تسلط الشيطان على الانسان من جهاته كلها ، كما قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده . ثم ذكر حديثا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فيه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **« اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى ، وأهلى ومالى ، اللهم استر عوراتى وآمن روعتى ، واحفظنى من بين يدى ومن خلفى ، وعن يمينى وعن شمالى ، ومن فوقى ، وأعوذ بك اللهم أن أغتال من تحتى »** . تفرد به البزار ، وحسنه .

وروى الامام أحمد حديثا جاء فيه عن جبير بن أبى سليمان بن جبير ابن مطعم ، أنه قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : لم يكن رسول الله يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسى : **« اللهم انى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة . اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى**

---

(١) النساء : (من الآية ١١٩) .
(٢) الصافات : (من الآية ٢٨) .

ومالى ، اللهم استر عوراتى ، وآمن روعاتى ، اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ، ومن فوقى ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى »(١) .

● قال اخرج منها مذءوما مدحورا : أى اخرج من الجنة ، مذءوما : أى مذموما ، ومدحورا : أى مطرودا .

● لمن اتبعك منهم : أى من الانس .

● لأملأن جهنم منكم أجمعين : أى منكم ومن بنى آدم ، وقيل : أى منك بذريتك ومن الناس ، وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفى الجملة معنى جزاء من الشرطية أى من تبعك اعذبه .

● ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة : أى قال الله تعالى لآدم بعد اخراج ابليس من موضعه من السماء : اسكن أنت وحواء الجنة .

قال فى حاشية الصاوى على الجلالين : قوله (٢) « **حواء** » : سميت بذلك لأنها خلقت من حى وهو آدم ، وذلك أن آدم لما أسكن الجنة مشى فيها مستوحشا فلما نام خلقت من ضلعه القصير من شقه الأيسر ليسكن اليها ويأنس بها فلما استيقظ ورآها مال اليها فقالت له الملائكة : مه يا آدم حتى تؤدى مهرها ، فقال : وما مهرها ؟ فقالوا : ثلاث صلوات ، أو عشرون صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم(٣) . ثم قال فى الحاشية : ان قلت ان شرط المهر أن يكون متمولا وهذا ليس بمتمول أجيب بأن هذا الشرط فى شرع محمد ولم يكن فى شرع آدم ، وأيضا : الآمر هو الله وهو يحكم ولا معقب لحكمه وأيضا : من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بلا مهر أصلا فلما كان هو الواسطة فى ذلك عد كأنه هو العاقد لهما . وانما كان خصوص الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت لكل أحد حتى أبيه آدم .

وأمر الله آدم بالسكون فى الجنة قيل قبل دخول الجنة فتوجيه الخطاب لحواء باعتبار تعلق علم الله بها فانها لم تكن خلقت اذ ذاك . وقيل : بعد دخول الجنة وهو المعتمد وعليه فيكون المراد من الأمر بالسكون الاستمرار .

---

(١) قال فى المسند : يعنى الخسف .

(٢) أى تفسير الجلالين .

(٣) أى النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

● وكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين : أى أنه سبحانه وتعالى أباح لآدم عليه السلام ولزوجته الجنة أن يأكلا منها من جميع ثمارها الا شجرة واحدة(١) .

قال فى حاشية الصاوى على الجلالين فى تعليقه على قوله تعالى : ((**فكلا من حيث شئتما**)) : أى فى أى مكان ، وفى الكلام حذف بعد ((**من**)) والأصل : فكلا من ثمارها حيث شئتما ، وترك ((**رغدا**)) من هنا اكتفاء بذكره فى البقرة وأتى ((**بالفاء**)) هنا ، وفى البقرة ((**بالواو**)) تفننا واشارة الى أن كلا من الحرفين بمعنى الآخر ، وقيل ان الواو تفيد الجمع المطلق ، والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو فلا منافاة .. ثم يقول : بقى شىء آخر ، وهو : انه وجه الخطاب أولا لآدم ، وثانيا لهما : وحكمة ذلك ان حواء فى السكنى تابعة لآدم فوجه الخطاب فى السكنى لآدم ، وأما فى الأكل من حيث شاءا والنهى عن قربان الشجرة فقد اشتركا فيه فلذا وجه الخطاب لهما معا .

ومعنى قوله تعالى : ((**فتكونا من الظالمين**)) : اى : لأنفسهما .

● فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين .

قال القرطبى : ((**فوسوس لهما**)) : اى : اليهما ، قيل داخل الجنة بادخال الحية اياه ، وقيل : من خارج بالسلطنة التى جعلت له . ثم قال : والوسوسة : الصوت الخفى ، والوسوسة : حديث النفس .

وقال فى ابن كثير بعد أن أشار الى أن الله سبحانه وتعالى قد أباح لآدم عليه السلام ولزوجته أن يسكنا الجنة ويأكلا منها حيث شاءا الا شجرة واحدة كما تقدم ، يقول : فعند ذلك حسدهما الشيطان ، وسعى فى المكر والخديعة والوسوسة ليسلبا ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن .

وقال فى حاشية الصاوى على الجلالين : الوسوسة : الحديث الخفى الذى لا يلقيه الشيطان فى قلب الانسان على سبيل التكرار .

---

(١) وهى الحنطة ، وقيل : الكرم ، وقيل : التين ، وقيل : البلح ، وقيل : الاترج والمشهور الاول .

ثم يقول : أن قلت أن الأنبياء معصومون من وسوسة الشيطان وظاهر الآية يقتضى أن الشيطان وسوس لآدم ، أجيب بأنه لم يباشر آدم بالوسوسة وانما باشر حواء وهى باشرت آدم بذلك .

قال محمد بن قيس : ناداه ربه يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك ، قال : أطعمتنى حواء . قال لحواء : لم أطعمتيه ، قالت : أمرتنى الحية ، قال للحية : لم أمرتها قالت : أمرنى ابليس . فقال الله تعالى : أما أنت يا حواء فلأدمينك كل شهر كما أدميت الشجرة ، وأما أنت يا حية فأقطع رجليك فتمشين على وجهك وليشدخن رأسك كل من لقيك وأما أنت يا ابليس فملعون .. والله أعلم ..

ومعنى : ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما : أنه أراد بهذه الوسوسة غضب الله عليهما وطردهما من الجنة ، وما ووري عنهما : أى غطى وستر عنهما واختلف فى ذلك اللباس فقيل : غطاء على الجسد من جنس الأظفار وستر عنهما وبقيت الأظفار فى اليدين والرجلين تذكرة وزينة وانتفاعا ، ولذلك قالوا : ان النظر الى الاظافر فى حال الضحك يقطعه . وقيل : كان نورا . وقيل كان من ثياب الجنة . ومعنى : « **من سوءاتهما** » : أى عوراتهما ، وسميت بذلك لأن كشفها يسىء صاحبها . وقوله : « **ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين ..** » : أى لم ينهكما ربكما عن الأكل من الشجرة الا كراهة أن تكونا من الملائكة أو تكونا من الخالدين فى الجنة .

● وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين : أى أقسم لهما بالله لأجل تأكيد اضلاله فهو أول من حلف كاذبا ، بل هو أول من عصى الله مطلقا .

● فدلاهما بغرور : أى أوقعهما فى الهلاك .

قال ابن عباس : غرهما باليمين وكان يظن آدم أنه لا يحلف أحد بالله كذبا . فغرهما بوسوسته وقسمه لهما .

وقيل : التدلى هو النزول(١) من أعلى لأسفل ، والغرور : تصوير الباطل بصورة الحق .

● فلما ذاقا الشجرة : أى أكلا منها ، والتعبير بلفظ « **ذاقا** » اشارة الى أنهما لم يتناولا منها كثيرا لان شأن من ذاق الشىء أن يقتصر على ما قل منه ..

---

(١) أى حسيا : من الجنة الى الأرض .

● بدت لهما سوءاتهما : أى سقط عنهما لباسهما فظهر لكل منهما قبل الآخر ودبره .

● وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة : أى آدم وحواء أخذا يقطعان الورق ويلزقانه ليستترا به قال ابن عباس : هو ورق التين . ويروى أن آدم عليه السلام لما بدت سوأته وظهرت عورته طاف على أشجار الجنة يسل منها ورقة يغطى بها عورته ، فزجرته أشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين(١) فأعطته ورقة . فطفقا . : أى آدم وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة ، فكافأ الله التين بأن سوى ظاهره وباطنه فى الحلاوة والمنفعة ، وأعطاه ثمرتين فى عام واحد مرتين .

● وناداهما ربهما : يحتمل أن يكون النداء على لسان ملك أو مباشرة :

● ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين : فمعنى عدو مبين أى بين العداوة والاستفهام للتقرير ، وهو حمل المخاطب على الاقرار والمعنى أقر بذلك على حد : ألم نشرح لك صدرك .

● قالا ربنا ظلمنا أنفسنا : أى بمعصيتنا ، وهذا اخبار من الله عن آدم وحواء باعترافهما وندمهما على ما وقع منهما ، وانما عاتبهما الله على ذلك وان كان ليس بمعصية حقيقية لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وليس ذلك بقادح فى عصمة آدم لان المستحيل على الأنبياء تعمد المخالفة ، وأما الخطأ فى الاجتهاد والنسيان الرحمانى فهو جائز عليهم ونظير ذلك ما وقع فى قصة ذى اليدين حيث سلم رسول الله من ركعتين فقال له ذو اليدين : أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال : كل ذلك لم يكن ، فقال : بل بعض ذلك قد كان .. الحديث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أنس ولكن أنسى لأسن .

وحكمة الأكل من الشجرة ما ترتب على ذلك من وجود الخلق وعمارة الدنيا ، فأنساه الله لأجل حصول تلك الحكمة البالغة . فمن نسب التعمد والتجرأ لآدم فقد كفر ، كما أن من نفى عنه اسم العصيان فقد كفر لمصادمة

---

(١) وقيل ورق الموز .

آية : « **وعصى آدم ربه فغوى** »(١) : فالمخلص من ذلك أن يقال : أن معصية آدم ليست كالمعاصى(٢) ..

● وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين : شرط حذف جوابه اكتفاء بجواب القسم .

وقد ورد عن سعيد بن جبير ومجاهد والحسن أن قول آدم وحواء : « **ربنـــا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنـــا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** » : هى الكلمات التى تاب الله على آدم بسببها كما يشير قوله تعالى : « **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم** »(٣) .

وقال محمد بن كعب القرطبى ، هى :

« **لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك ، رب عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى انك أنت الغفور الرحيم** » .

وقال عبيد بن عمير ، هى قول آدم :

« **يارب أرأيت ما أتيت شيئا ابتدعته من تلقاء نفسى أم شىء قدرته على قبل أن تخلقنى ؟ قال : لا بل شىء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال : يارب فكما قدرته على فاغفر لى** » .

● وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لمـــا أراد الله أن يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء ، فلما صلى ركعتين استقبل البيت وقال : « **اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى فاعطنى ســـؤالى ، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى ، اللهم انى أسألك ايمانا يباشر قلبى ، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى الا ما كتبت لى والرضا بما قضيت على** » : فأوحى الله اليه : « **يا آدم قد دعوتنى بدعوات فاستجبت لك ولن يدعونى بها أحد من ولدك الا كشفت همومه وغمومه وكففت عليه ضيعته ، ونزعت الفقر من قلبه ، وجعلت الغنى بين عينيه واتجرت له وراء تجارة كل تجارة ، وأتته الدنيا وهى راغمة وان كان لا يريدها** » .

●وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى البلدان يأمرهم أن يقولوا كما قال أبوهم آدم عليه السلام :

---

(١) طه : (من الآية ١٢١) .
(٢) كما اتفق العلماء .
(٣) البقرة : (الآية ٣٧) .

« ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »(١) .

وكما قال نوح عليه السلام :

« والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين »(٢) .

وكما قال يونس عليه السلام :

« فنـــادى فى الظلمـــات ان لا اله الا انت ســـبحانك انى كنت من الظـــالمين »(٣) .

وكما قال موسى عليه السلام :

« رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم »(٤) .

● ● وقد اختلف الناس : هل تلقى آدم هذه الكلمات فى الأرض أم تلقاها فى الجنـــة ؟.

فهناك من قال : انه تلقاها من الله سبحانه وتعالى وهو فى الجنة وقبل الله سبحانه توبته وهو فى الجنة ..

قال القرطبى : لم يكن اخراج آدم من الجنة واهباطه منها عقوبة له لأنه أهبطه بعد أن تاب عليه وقبل توبته وانما أهبطه تائبا اظهارا للخلافة التى خلقه الله لها وليكلف أولاده ويترتب على ذلك ثوابهم وعقابهم والجنة والنار ليستا بدار تكليف .

وهناك من قال : ان تلقيه الكلمات وتوبته واعتذاره كان فى الدنيا وهذا هو المشهور .

● ● واذا تساءل البعض عن معنى قول الله تبارك وتعالى :

« ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين »(٥) :
فالجواب هو أن العلماء قد فسروا العباد هنا بالمطيعين وبالمعصومين كما

---

(١) الأعراف : (من الآية ٢٣) .
(٢) هـــود : (من الآية ٤٧) .
(٣) الأنبيـــاء : (من الآية ٨٧) .
(٤) القصص : (من الآية ١٦) .
(٥) الحجر : (الآية ٤٢) .

فسروا السلطان هنا بالحجة ، أى : ليس لك حجة فى اغوائهم . وقال أبو سليمان الدمشقى هو القهر والغلبة ، انما له أن يغوى ويزين ، قال تعالى فى سورة النحل : ((**انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون**))(١) : فتضمن ذلك أمرين : أحدهما : نفى سلطانه وابطاله على أهل التوحيد والاخلاص ، والثانى : اثبات سلطانه على أهل الشرك وعلى من تولاه .

● ● فان قيل(٢) : هذا يشكل بقوله تعالى فى سورة سبأ : ((**ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شىء حفيظ**))(٣) فقد نفى هنا أن يكون له سلطان عليهم وهو ينافى قوله : ((**انما سلطانه على الذين يتولونه**)) : فما الجامع .

((**قلنا**)) : ان كان الضمير فى قوله : ((**وما كان له عليهم من سلطان**)) عائدا على المؤمنين ، فالسؤال ساقط ويكون الاستثناء منقطعا أى لكن امتحانهم بابليس لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وان كان عائدا على ما عاد عليه فى قوله : ((**ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه ..**)) : يكون المعنى وما سلطانه عليهم الا لنعلم من يؤمن بالآخرة : قال ابن قتيبة : ان ابليس لما سأل الله النظرة فأنظره قال : ((**.. لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم ...**))(٤) وليس هو فى وقت هذه المقالة يتيقن أن ذلك يتم له ، وانما قاله ظانا فلما اتبعوه وصدق عليهم ما ظنه فيهم فقال : ما كان تسليطنا اياه الا لنعلم المؤمنين من الشاكين يعنى نعلمهم ظاهرين فيحق القول ويقع الجزاء وحينئذ يكون السلطان ههنا على من لم يؤمن بالآخرة وشك فيها وهم الذين تولوه واشركوا به فيكون السلطان ثابتا لا منفيا فاتفقت الآيات .

● فان قيل : فما تصنع بقوله تعالى فى سورة ابراهيم عن الشيطان حيث يقول لأهل النار : (**وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى ..**) وان كان هذا قول الشيطان فقد أخبر الله عنه مقررا لا منكرا فدل على أنه كذلك .

(**قلنا**) : السلطان المنفى فى هذا الموضع هو الحجة والبرهان ، أى : ما كان لى من حجة وبرهان احتج به عليكم ، كذا قال ابن عباس : انى ما اظهرت لكم حجة الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وصدقتم مقالتى واتبعتمونى

---

(١) الآية رقم ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢) كما جاء فى كتائب مصائب الانسان من مكائد الشيطان .

(٣) سبأ : (الآية ٢٠ ، ٢١) .

(٤) النساء : (من الآية ١١٨ ، ١١٩) .

بلا برهان ولا حجة ، وأما السلطان الذى أثبته فى قوله : **(انما سلطانه على الذين يتولونه)** : فهو تسليطه عليهم بالاغواء والاضلال وتمكنه منهم بحيث يؤزهم الى الكفر والشرك ويزعجهم اليه كما قال : **(ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا)**(١) : قال ابن عباس : أى تغريهم اغراء وتشليهم اشلاء وذلك أن الأز هو التحريك والتهييج ومنه يقال لغليان القدر أز لأن الماء يتحرك عند الغليان ....

● فان قيل : اذا لم يكن للشيطان سلطان على المطيعين ولا المؤمنين ولا أهل العصمة فكيف تنزيل قصة آدم وحواء ، وتنزيل قصة موسى ، قال الامام أحمد فى الرد على الجهمية ، قال الزنادقة هذا تناقض لقوله عن موسى حين قتل النفس ((**هذا من عمل الشيطان**))(٢) وحديث الوادى الذى نام فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، عن زيد بن أسلم قال : عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بطريق مكة ووكل بلالا يوقظهم للصلاة فرقد بلال ورقدوا حتى استيقظوا وقد طلعت عليهم الشمس فاستيقظ القوم قد فزعوا فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادى وقال : **(هذا واد فيه الشيطان)** فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادى ثم أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا وأن يتوضئوا وأمر بلالا أن ينادى بالصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ثم انصرف وقد رأى من فزعهم فقال : **(أيها الناس : ان الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها الينا فى حين غير هذا فاذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نسيها ثم فزع اليها فليصلها كما كان يصليها فى وقتها)** ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر الصديق فقال : **(ان الشيطان أتى بلالا وهو قائم يصلى فأجمعه ثم لم يزل يهنيه كما يهدى الصبى حتى نام)** ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأخبر بلال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، فقال له أبو بكر رضى الله عنه : أشهد أنك رسول الله .

رواه مالك فى الموطأ مرسلا ، وقد جاء فى المسند والصحيحين والسنن حديث الوادى هذا على وجوه وهذا لفظ يناسب لمعنى الآية الكريمة .

وقال تعالى عن نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا)**(٣) .

(قلنا) معنى الآية عند أهل العلم ليس له بسلطان على قلوبهم ولا مواضع ايمانهم : قال الثعلبى : قال أهل المعانى : معنى قوله : **(ليس**

---

(١) مريم : (الآية ٨٣) .
(٢) القصص : (من الآية ١٥) .
(٣) آل عمران : (من الآية ١٥٥) .

لك عليهم سلطان) : تلقيهم فى ريب يضيق عنه عفوى . قال القرطبى ويحتمل أن قوله : **(ليس لك عليهم سلطان)** : خاص بمن حفظ الله ويحتمل أن يكون فى اكثر الاوقات والأحوال وقد يكون فى تسليطه تفريج كربة وازالة غمة كما فعل ببلال رضى الله عنه فأتاه يهديه كما يهدى الصبى حتى نام ونام النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فلم يستيقظوا وفزعوا وقالوا : ما كفارة ما صنعناه ، فقال : ليس فى النوم تفريط ففرج عنهم .

قال الامام احمد فى الرد على الجهمية : معنى الآية : ليس لابليس عليهم سلطان أن يضلهم فى دينهم او فى عبادة ربهم ولكن يصيب منهم من قبل الذنوب لا فى الشرك .

وقد سبق تفسير السلطان فى الآية بالحجة وبالقدرة ، والصواب : أن يقال ليس له طريق يتسلط به عليهم لا من جهة الحجة ولا من جهة القدرة ، والقدرة داخلة فى مسمى السلطان ، وانما سميت الحجة سلطانا لأن صاحبها يتسلط بها تسلط صاحب القدرة بيده ، وقوله : **(ان عبادى ليس لك عليهم سلطان)** : اخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين وحفظه اياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم ، ولهذا قال : **(وكفى بربك وكيلا)** : أى حافظا ومؤيدا وناصرا ونصيرا .

قال الامام احمد : حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(ان المؤمن لينصى شيطانه كما ينصى احدكم بعيره فى السفر)** قوله ينصى : أى يأخذ بناصيته ويقره . قوله : **(الا من اتبعك من الغاوين)**(١) : والغى اتباع الهوى ، وقال تعالى فى حق يوسف : **(كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين)**(٢) : فامرأة العزيز كانت مشركة فوقعت مع أنها كانت متزوجة فيما وقعت فيه من السوء ، ويوسف عليه السلام مع غربته ومراودتها له واستعانتها عليه بالنسوة وعقوبتها له بالحبس على المعصية : عصمه الله باخلاصه لله تحقيقا لقوله تعالى : **(يوسوس فى صدور الناس)**(٣) ولم يقل فى قلوبهم ، والصدر هو ساحة القلب وبيته فمنه تدخل الواردات اليه فتجتمع فى الصدر ثم تلج(٤) فى القلب فهو بمنزلة الدهليز ومن القلب تخرج الأوامر والارادات الى الصدر ثم تتفرق على الجنود ومن فهم هذا فهم قوله تعالى : **(وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم)**(٥)

---

(١) الحجر : (من الآية ٤٢) .
(٢) يوسف : (من الآية ٢٤) .
(٣) الناس : (من الآية ٥) .
(٤) أى تدخل .
(٥) آل عمران : (من الآية ١٥٤) .

فالشيطان يدخل الى ساحة القلب وبيته فيلقى ما يريد الى القلب فهو يوسوس فى الصدور ويوصله الى القلب ولهذا قال : فوسوس اليه الشيطان ، ولم يقل فيه لأن المعنى انه القى ذلك واوصله اليه فدخل فى قلبه . والله أعلم .

●● ثم : وبعد أن وقفنا على كل هذه الملاحظات الهامة التى كان لابد وأن نقف عليها حتى نكون على فقه كامل بكل ما يتعلق بهذا الموضوع الحيوى : نعود الى الآية الكريمة التى وقفنا عندها من سورة الأعراف حتى نستكمل دراستنا لقصة الشيطان الأكبر مع أبوينا ، وهى :

● قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتـــاع الى حين .. :

قال ابن كثير : المراد بالخطاب فى (**اهبطوا**) : آدم ، وحواء ، وابليس والحية . ومنهم من لم يذكر الحية ، والله أعلم . والعمدة فى العداوة : آدم وابليس ولهذا قال تعالى فى سورة (**طه**) ، قال : (**اهبطا منها جميعا ..**) وحواء تبع لآدم ، والحية ـــ ان كان ذكرها صحيحا ـــ فهى تبع لابليس .

وقال القرطبى فى تفسير قول الله تعالى : (**قلنا اهبطوا ...**) بسورة البقرة : قوله تعالى : (**قلنا اهبطوا**) : كرر الأمر على جهة التغليظ وتأكيده ، كما تقول لرجل : قم قم . وقيل : كرر الأمر لما علق بكل أمر منهما حكما غير حكم الآخر ، فعلق بالأول العداوة ، وبالثانى اتيان الهدى .. ثم يقول :

وقال وهب بن منبه : لما هبط آدم عليه السلام الى الأرض ، قال ابليس للسباع : ان هذا عدو لكم فاهلكوه ، فاجتمعوا وولوا أمرهم الى الكلب وقالوا : أنت أشجعنا وجعلوه رئيسا ، فلما رأى ذلك آدم عليه السلام تحير فى ذلك ، فجاءه جبريل عليه السلام وقال له : امسح يدك على راس الكلب ففعل ، فلما رأت السباع أن الكلب ألف آدم تفرقوا ، واستأمنه الكلب فأمنه آدم ، فبقى معه ومع أولاده .

وقال الترمذى الحكيم نحو هذا ، وان آدم عليه السلام لما اهبط الى الأرض جاء ابليس الى السباع فأشلاهم على آدم ليؤذوه ، وكان أشدهم عليه الكلب ، فأميت فؤاده ، فروى فى الخبر أن جبريل عليه السلام أمره أن يضع يده على رأسه فوضعها فاطمأن اليه وألفه ، فصار ممن يحرسه ويحرس ولده ويألفهم . وبموت فؤاده يفزع من الآدميين فلو رمى بمدر(١) ولى هاربا

---

(١) أى حجر .

ثم يعود ألفا لهم . ففيه شعبة من ابليس ، وفيه شعبة من مسحة آدم عليه السلام : فهو بشعبة ابليس ينبح ويهر ويعدو على الآدمى ، وبمسحة آدم مات فؤاده حتى ذل وانقاد وألف به وبولده يحرسهم ...

● وجاء فى ابن كثير قوله :

وقال الحاكم : حدثنا أبو بكر بن بالوبة عن محمد بن أحمد بن النضر عن ابن عباس ، قال : ما أسكن آدم الجنة الا ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس . ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

وقال عبد بن حميد فى تفسيره : حدثنا روح ، عن هشام عن الحسن ، قال : لبث آدم فى الجنة ساعة من نهار ، تلك الساعة ثلاثون ومائة سنة من أيام الدنيا .

وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس ، قال : خرج آدم من الجنة الساعة التاسعة أو العاشرة ، فأخرج آدم معه غصنا من شجر الجنة على رأسه تاج من شجر الجنة وهو الاكليل من ورق الجنة .

وقال الزهرى ، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها**) رواه مسلم والنسائى .

وعن الحسن البصرى قال : اهبط آدم بالهند ، وحواء بجدة ، وابليس بدستميسان من البصرة على أميال ، واهبطت الحية بأصبهان ، رواه ابن أبى حاتم .

وقال ابن أبى حاتم ... عن ابن عمر ، قال : أهبط آدم بالصفا ، وحواء بالمروة(١) ... والله أعلم .

●● فهذه جملة أقوال وروايات ذكرها ابن كثير رأيت أن أوقفك عليها لأنه ربما تسأل عنها أو تفكر فيها .

ثم معنى قوله تعالى : (**ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين**) : أى قرار وأرزاق وآجال (**الى حين**) أى : الى وقت مؤقت ومقدار معين ، ثم تقوم القيامة .

---

(١) ويقال : أنهما التقيا فوق جبل عرفات .

● ومن يومها والانسان الأول وهو أبونا آدم مع أمنا حواء وذريتهما مع ابليس وجنوده فى صراع مستمر بين الخير والشر ، والهدى والضلال ، والايمان والكفر ، والفلاح والخسران .

وكما يقول صاحب كتاب (**قصص القرآن**) :

(... تاب الله عليهما ، وغفر الله لهما زلتهما ، فانثلج ذلك صدرهما ، وقرت به عينهما ، وانبثق الأمل فى نفسيهما بالبقاء فى الجنة ، والتمتع بنعيمهـا ، وقد علم الله ما جال بخاطرهما ، ووقف على ما تطلعت اليه نفسهما : فأمرهما بالهبوط منها ، وأنبأهما أن العداوة بينهما وبين ابليس ستظل قائمة ، ليحذرا فتنته ، ولا يصغيا الى اغوائه ، فقال : (اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى)(١) : فجعل له مأربا فى الحيـاة ، وأملا يسعى اليه ، وأخبره أنه قد انتهى طور النعيم الخالص والراحة التامة ، وأنه بعد خروجه من الجنة وحرمانه نعيمها قد دخل فى طور له فيه طريقان : هدى وضلال ، ايمان وكفر ، فلاح وخسران فمن اتبع هدى الله الذى شرعه ، وسلك الصراط المستقيم الذى حدده ، فلا خوف عليه من وسوسة الشيطان واغوائه ، ومن أعرض عن ذكر الله ، وحاد عن سبيله ، فسيكون عيشه ضنكا ، وسيكون من الذين (ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)(٢) :

●● وحتى لا أطيل عليك فقد رأيت وبعد هذا العرض السريع لقصة أبوينا مع ابليس اللعين أن أسوق اليك بعض مكايد الشيطان منذ أن هبط مع أبوينا من الجنة .

حتى تعرف طريقته ومنهاجه فى اغوائه وحيله وحتى تقف على مدى عداوته لجميع أبناء آدم فتكون على حذر منه وتسد جميع مداخله التى اعتاد أن يصل عن طريقها الى قلوب مشجعيه ومؤيديه ، وسأبدأ بقصة :

* * *

---

(١) طـه : (من الآية ١٢٣) .
(٢) الكهف : (من الآية ١٠٤) .

قابيل وهابيل

وخلاصتها كما هو ثابت فى كتب التفسير(١) : أن آدما حواء عليهما السلام كانت تلد فى كل بطن ذكرا وانثى : فولدت فى البطن الأولى : قابيل مع أخته اقليمياء وكانت على جانب عظيم من الجمال وولدت فى البطن الثانية هابيل مع أخته ليوذا وكانت دون الأخت الأولى فى الجمال .

وكان الله سبحانه وتعالى قد أمر أبانا آدم عليه السلام بأن يزوج أولاده اذا كبروا بصورة عكسية ، أى يزوج ابنة البطن الأولى لابن البطن الثانية وهو هابيل ، وأن يزوج ابنة البطن الثانية لابن البطن الأولى وهو قابيل : الذى اعترض على أمر الله سبحانه وتعالى وقال لأبيه : انك تأمرنا برأيك لا من عند الله لأنك تحب هابيل أكثر منى .

● فقال لهما آدم عليه السلام بأمر من الله سبحانه وتعالى : قربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بالجميلة : فذهب هابيل ــ وقد كان راعيا للغنم ــ وأخذ كبشا من أحسن غنمه وقربه : وذهب قابيل ــ وقد كان زراعا ــ وأخذ صبرة قمح من أردأ ما عنده ، وقيل قت ردىء ، حتى أنه وجد سنبلة جيدة ففركها وأكلها ، ثم قدم القت بعد ذلك قربانا لله .

وكان علامة قبول القربان نزول نار من السماء تحرقه : فنزلت على كبش هابيل فأحرقته ، وقيل : رفع الى السماء حتى نزل فداء للذبيح اسماعيل ابن ابراهيم الخليل عليهما السلام ــ ولم يتقبل من قابيل : فغضب لفوز هابيل بالجميلة ، ولقبوله قربانه وأضمر الحسد فى نفسه ، ثم قال لأخيه : **(لأقتلنك)** فقال له أخوة هابيل : **(انما يتقبل الله من المتقين)** وانت لم يكن عندك تقوى لعقوقك لأبيك وعدم اخلاصك فى القربان ، ثم قال له : **(لئن بسطت(٢) الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لأقتلك انى اخاف الله رب العالمين . انى اريد أن تبوء(٣) باثمى(٤) واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين)** ..

---

(١) القرطبى وابن كثير وحاشية الصاوى على الجلالين .

(٢) بسطت : أى مددت .

(٣) تبوء : أى ترجع .

(٤) أى باثم قتلى .

● وبالرغم من هـذا الدرس العظيم الذى لقنه اياه أخوه هابيل ، يقول القرآن بعد هذا (١) :

« فطوعت(٢) له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » :

وخلاصة ما حدث هو أن الشقى قابيل بعد أن توعد أخاه هابيل بالقتل : جلس يفكر فى كيفية التنفيذ ـــ وكان هذا بعد أن ذهب أبوه آدم لأداء فريضة الحج(٣) ـــ وبينما كان يفكر فى تنفيذ القتل اذ بأستاذه ابليس قد تمثل له وقد أخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه(٤) بحجر آخر ، وقابيل ينظر اليه ليتعلم منه وفعلا بعد أن تلقن الدرس كاملا من أستاذه الملعون قام بتنفيذه ، وكان أخوه نائما فحطم رأسه بحجر ، ثم حمله على ظهره فى جراب قيل أربعين يوما وقيل سنة لا يدرى ماذا يفعل الى أن فاحت رائحة هذا الجسد الطاهر : **« فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض »** أى : ينبش التراب بمنقاره وبرجليه ويثيره على غراب ميت معه حتى واراه **« ليريه كيف يوارى سوأة أخيه »** فلما رأى ذلك استشعر النـــدم والحسرة ثم قال : **« يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين »** .

● ثم بعد ذلك لم ينته الأمر بالنسبة للقاتل **« قابيل »** عند هذا الحد ، وانما الذى حدث بعد هو أنه بعد أن قتل قابيل هابيل ـــ وكان آدم بمكة ـــ اشتاك الشجر ـــ أى ظهر له شوك ـــ وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه ، واغبرت الأرض ، فقال آدم قد حدث فى الأرض حادث ، فلما رجع آدم سأل قابيل عن أخيه فقال : ما كنت عليه وكيلا ، فقال : بل قتلته ، ولذلك اسود جلدك ، فغضب عليه فذهب قابيل مطرودا فأخذ أخته وهرب الى عدن فأتاه ابليس وقال له : انما أكلت النار قربان هابيل لأنه كان يعبد النار فانصب أنت نارا لتكون لك ولعقبك(٥) ، فبنى بيت النار : فهو أول من عبد النار ، وكان قابيل لا يمر به أحد الا رماه بالحجارة ، فأقبل ولد لقابيل أعمى ومعه ابنه ، فقال ابن الأعمى لأبيه : هذا أبوك قابيل ، فرماه بحجارة فقتله ، فقال ابن الأعمى لأبيه : قتلت أباك قابيل ؟ فرفع الأعمى يده ولطم ابنه فمات ، فقال الأعمى : ويل لى قتلت أبى برميتى وابنى بلطمتى : واستمرت ذرية قابيل يفسدون فى الأرض الى أن جاء طوفان نوح فأغرقهم جميعا فلم يبق منهم أحد والله الحمد .

وأبقى الله ذرية شيث الى يوم القيـــامة ، وما مات آدم حتى رأى من ذريته أربعين الفـــا .

---

(١) فى سورة المائدة من رقم ٢٧ ـــ ٣١ .

(٢) اى زينت .

(٣) أو كان بمكة أثنـــاء الحادث .

(٤) اى كسره .

(٥) اى أولادك من بعدك .

ملاحظات

● قابيل هو أول أولاد آدم وهابيل بعده بسنة وكلاهما بعد هبوطه الى الأرض بمائة سنة .

● ولدت أمنا حواء لأبينا آدم عشرين بطنا ، فى كل بطن : ذكرا وانثى فصار الذكور عشرين والاناث كذلك ، فلما قتل قابيل هابيل نقصت الذكور عن الاناث ، فرزقه الله تعالى بـ « **شيث** » ومعناه هبة الله فتماثل الذكور مع الاناث .

● قال مقاتل : كان قبل قتل هابيل ، السباع والطيور تستأنس بآدم ، فلما قتل قابيل هابيل هربوا ، فلحق الطيور بالهواء ، والوحوش بالبرية ، والسباع بالغياض .

وروى أن آدم لما تغيرت الحال قال(١) :

تغـــيرت البـــلاد ومن عليهـــا
فوجـــه الأرض مغـــبر قبيـــح
تغـــير كل ذى طعـــم ولـــون
وقـــل بشاشـــة الوجـــه المليـــح

فأجيب آدم عليه الســـلام :

أبا هابيـــل قـــد قتـــلا جميعـــا
وصـــار الحى كالميت الذبيـــح
وجـــاء بشرة قـــد كان منهـــا
على خـــوف فجـــاء بهـــا يصـــيح

* * *

(١) كما فى القرطبى وابن كثير على لسان على بن ابى طالب .

الشيطان فى سفينة نوح

● قال فى تلبيس ابليس :

لما ركب نوح عليه السلام فى السفينة رأى فيها شيخا لم يعرفه فقال له نوح : ما أدخلك ؟ قال : دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك ، فقال له نوح عليه السلام : اخرج يا عدو الله ، فقال ابليس : خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين . فأوحى الله تبارك وتعالى الى نوح عليه السلام أنه لا حاجة الى الثلاث ، مره يحدثك بالاثنتين . فقال : بهما أهلك الناس وهما لا يكذبان : الحسد والحرص : فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما ، وبالحرص أبيح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتى منه فأخرج من الجنة .

ملاحظـــــات

● الحسد : أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه ، والغبطة أن يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه ، والأول مذموم والثـــانى محمود وعليه قوله صلى الله عليه وســـلم : فى الحديث الصحيح :

« لا حسد الا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا وسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس » : فهذا حسد غبطة الحامل لصاحبه عليه كبر نفسه ، وحب خصال الخير ، والتشبه بأهلها ، والدخول فى جملتهم ..

● والحرص : شدة الارادة والشره الى المطلوب وهو نوعان : حرص فاجع ، وحرص نافع : فالأول : حرص المرء على الدنيا وهو مشغول معذب بها فلا يفرغ من محبتها ، والثـــانى : حرصه على طاعة الله تعالى خوف أن تفوت .

●● فكن أخا الاسلام من أهل الحسد المحمود لا من أهل الحســـد المذموم الذى أمرنا الله تعالى بأن نستعيذ من شره وشر صاحبه . وكن حريصا دائما وأبدا على فعل الخير حتى تكون من أهل الخير الذين وعدهم الله تعالى بكل خير وفلاح فى الدنيا والآخرة . واحذر أن تكون من أهل الحرص الدنيوى حتى لا تكون لعبة فى يد الشيطان ، ومن أبناء الدنيا .

● وحسبى حتى لا تكون من أبناء الدنيا أن أقرأ معك هذه الآثار :

روى : أن اسعد الناس فى الدنيا أرغبهم عنها وهى الغاشة لمن انتصحها ، والمغوية لمن أطاعها ، والخاسر من انقاد لها ، والفائز من أعرض عنها ، طوبى لعبد اتقى ربه ، وقد قدم توبته من قبل أن ينتقل منها الى الآخرة فيصبح فى بطن موحشة مظلمة لا يستطيع أن يزيد فى حسنة ولا ينقص من سيئة ، ثم ينشر فيحشر اما الى جنة يدوم نعيمها ، أو لا ينفك عذابها .

وفى صحف ابراهيم الخليل عليه السلام يقول الله عز وجل : يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تزينت لهم ، انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصبر عنك ، ما خلقت خلقا أهون على منك ، انى قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ولا يدوم لك أحد .

وقد قيل لزاهد : أى خلق أصغر ؟ فقال : الدنيا ، لأنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ومن هوانها عند الله أنه خلقها ولم ينظر اليها ، ولا يعصى الا فيها ، ولا ينال ما عنده الا بتركها واذا أردت أن تزهد فيها فانظر هى عند من ، وفى يد من .

وقال الامام مالك رضى الله عنه : الدنيا تخرج حلاوة الايمان من القلب ..

ولله در القائل :

ان لله عبادا فطنا
طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا
أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا
صالح الأعمال فيها سفنا

* * *

إبليس وموسى عليه السلام

● وقال فى التلبيس :

ولقى ابليس موسى عليه السلام ، فقال :

يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته ، وكلمك تكليما ، وأنا من خلق الله تعالى أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لى الى ربى عز وجل أن يتوب على ، فدعا موسى ربه فقيل : يا موسى ، قد قضيت حاجتك ، فلقى موسى ابليس فقال له : قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك ، فاستكبر وغضب وقال : لم أسجد له حيا أأسجد له ميتا ، ثم قال ابليس : يا موسى ان لك حقا بما شفعت الى ربك فاذكرنى عند ثلاث لا أهلك فيهن :

● اذكرنى حين تغضب فأنا وحى فى قلبك وعينى فى عينك ، أجرى منك مجرى الدم .

● واذكرنى حين تلقى الزحف ، فانى آتى ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولى .

● واياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فانى رسولها اليك ورسولك اليهـــا .

● وقال : حدثنى بعض أشياخنا أن ابليس لعنه الله جاء الى موسى عليه السلام وهو يناجى ربه تعالى فقال له الملك : ويلك ما ترجو منه وهو على هذه الحالة ، يناجى ربه ، فقال ، أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو فى الجنة ..

● وقال : بينما موسى عليه السلام جالس فى بعض مجالسه اذا اقبل ابليس عليه برنس(١) له يتلون فيه الوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه وقال له : السلام عليك يا موسى : فقال موسى عليه السلام : من أنت قال : أنا ابليس ، قال : فلا حياك الله ما جاء بك ؟ قال : جئت لأسلم

---

(١) البرنس هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به من ذراعه ، وقد شاع استعماله فى المغرب .

عليك لمنزلتك عند الله تعالى ومكانتك منه ، قال : فما الذى رأيته عليك ، قال : به اختطف قلوب بنى آدم ، قال : فما الذى اذا صنعه الانسان استحوذت عليه ؟ قال : اذا اعجبته نفسه ، واستكثر عمله ، ونسى ذنوبه ، واحذرك ثلاثا :

● لا تخلون بامراة لا تحل لك قط ، فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابى حتى افتنه بها .

● ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ، فانه ما عاهد الله احد الا كنت صاحبه دون اصحابى حتى احول بينه وبين الوفاء به .

● ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابى حتى احول بينه وبين اخراجها .

ثم ولى وهو يقول : يا ويله ثلاثا علم موسى ما يحذر به بنى آدم .

* * *

ملاحظـــــات

● الغضب : من الشيطان ، وفى الحديث الشريف يقول الرســـول صلى الله عليه وســـلم : « **ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النـــار ، وانما النـــار تطفأ بالمـــاء ، فاذا غضب أحدكم فليتوضأ** » رواه ابو داود .

وحتى تعرف خطورة الغضب اليك ايضا هذين الحديثين :

عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **قال رجل : يا رسول الله أوصنى . قال : لا تغضب . قال : ففكرت حين قال النبى صلى الله عليه وسلم ما قال فاذا الغضب يجمع الشر كله** » رواه احمـــد .

وعن ابى هريرة ، رضى الله عنه ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : « **أوصنى ، قال لا تغضب ، فردد مرارا ، قال : لا تغضب** » . رواه البخـــارى .

نلاحظ هذا ، و : « **ادفع بالتى هى أحسن** » : فقـــد قال ابن كثير فى تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضى الله عنهما : امر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولى حميم .

● وأما عن الفرار من الزحف فهو من الكبائر ، وقد روى عن أحمد والنسائى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر فقال : « **الاشراك بالله ، وقتل النفس المسلمة ، وفرار يوم الزحف** » . وهو من السبع الموبقـــات :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال : « **الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** » . رواه البخـــارى ومسلم .

● وأما عن مجالسة المرأة التى ليست بمحرم لك ، فقد ورد فيـــه عن النبى صلى الله عليـــه وســـلم أنه قال : « **لا يخلون أحدكم بامرأة الا مع ذى محرم** » . رواه البخارى ومسلم .

● وأما عن الوفاء بالعهد ، فقد أمر الله تعالى به فى قوله : « **وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا** »(١) وقوله : « **وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم** »(٢) وفى الحديث الشريف : « **لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له** » رواه أحمد والبزار والطبرانى فى الأوسط .

● وأما عن الصدقة فقد ورد فى الترمذى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقال : « **ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النـــار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل شعار الصالحين** » .

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ونفذه بالنسبة لعدم الغضب وعدم الفرار من الزحف ، وعدم مجالسة غير المحارم فى خلوة الا مع ذى محرم اذا كان هناك داع لهذا ، مع ضرورة الوفاء بالعهـــد ، والتقرب الى الله تعـــالى بالصدقات دون بخل بها ولو بشق تمرة اذا لم يكن هناك سواها .

فهذا خير لك ، وهو هزيمة للشيطان الرجيم .

* * *

---

(١) الاسراء : (من الآية ٣٤) .
(٢) النحـــل : (من الآية ٩١) .

إبليس والشجرة

قال القرشي : وسمعت سعيد بن سليمان يحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال :

كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء اليها رجل فقال : لأقطعن هذه الشجرة ، فجاء ليقطعها غضبا لله فلقيه ابليس فى صورة انسان ، فقال : ما تريد ؟ قال : أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله ، قال : اذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها ؟ قال : لأقطعنها ، فقال له الشيطان : هل لك فيما هو خير لك ؟ لا تقطعها ولك ديناران كل يوم اذا أصبحت عند وسادتك قال : فمن أين لى ذلك ؟ قال : أنا لك ، فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئا ، فقام غضبا ليقطعها فتمثل له الشيطان فى صورته وقال : ما تريد ؟ قال : أريد قطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله تعالى ، قال : كذبت مالك الى ذلك من سبيل . فذهب ليقطعها ، فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله ، قال : أتدرى من أنا ؟ أنا الشيطان ، جئت أول مرة غضبا لله فلم يكن لى عليك سبيل ، فخدعتك بالدينارين فتركتها ، فلما جئت غضبا للدينارين سلطت عليك .

* * *

تعليـــق

وهكذا كما رأيت يا أخى استطاع الشيطان أن يخدع العابد بريق الدينارين اللذين ظن العابد أنهما سيكونان سببا فى سعادته ، ولكنهما كما رأيت كانا سببا فى تعاسته كما جاء فى الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « **تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار** » : فاحذر أن تكون كهذا العابد الذى باع آخرته بدنياه فكان لعبة فى يد الشيطان الذى ما سلط عليه كما عرفت الا بعد أن خرج الاخلاص من قلبه .

وقد ورد عن سالم مولى حذيفة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ليجاءن بأقوام يوم القيامة معهم من الحسنات مثل جبال تهامة حتى اذا جيء بهم جعل الله عملهم هباء ثم تذفهم فى النار فقال سالم يا رسول الله بأبى أنت وأمى جل لنا هؤلاء القوم حتى نعرفهم فو الذى بعثك بالحق انى أتخوف أن أكون منهم قال : يا سالم أما انهم كانوا يصومون ويصلون — وفى حديث

آخر ـ : « **كانوا ياخذون وهنا من الليل ولكن كانوا اذا عرض لهم شيء من الحرام وثبوا عليه فادحض الله عز وجل أعمالهم** » .

فلاحظ كل هذا ولا تكن من هؤلاء المرائين الذين رايت نموذجا منهم ، والذين قال فيهم القائل :

اظهـــروا للنـــاس نســـكا
وعـــلى الدينـــار داروا
ولـــه صـــاموا وصـــلوا
ولـــه حجـــوا وزاروا
لـــو يـــرى فـــوق الثريا (١)
ولهـــم ريش لطـــاروا

* * *

والقـــائل :

عجبت من شـــيخ ومن زهـــده
يذكر النـــار وأهوالهـــا
يكره أن يشرب فى فضـــة
ويشرب الفضـــة ان نالهـــا

* * *

والقـــائل :

نعـــوذ بالله مـــن أناس
تشـــيخوا قبـــل أن يشـــيخوا
تقوســـوا وانحنـــوا ريـــاء
فاحـــذرهم انهـــم فخـــوخ

* * *

(١) اى النجوم .

إبليس وعيسى عليه السلام

● قال مكحول أبو عثمان :

كان عيسى عليه السلام يصلى على رأس جبل فأتاه ابليس فقال لعيسى عليه السلام : ألست تؤمن بالقضاء والقدر ؟ قال عيسى عليه السلام : نعم . فقال لعيسى : فألق نفسك من شاهق فلا يصيبك الا ما قدر الله لك . فقال له عيسى عليه السلام : الرب يبتلى عبده ويختبره ، وليس للعبد أن يختبر ربه . رواه ابن أبى الدنيا وعن طاووس نحوه .

● وعن ابن عباس أن الشيطان لقى عيسى عليه السلام على عتبة بيت المقدس ، فقال له يا ملعون : أخبرنى ما الذى صنعت بأمة موسى ؟ قال : سولت لهم اليهودية ، قال : ما تصنع بأمتى ؟ قال : آمرهم أن يتخذوك الها . قال : ما تصنع بأمة محمد ؟ قال : هيهات ، لا سبيل لى عليهم ولكن أحبب اليهم الدنانير والدراهم حتى تكون عندهم أشهى من قول : لا اله الا الله .

قال وهب بن منبه : لما ضربت الدراهم والدنانير حمله ابليس فقبله وقال : سلاحى وقرة عينى وقرة قلبى بكما أغوى وبكما أطغى وبكما أكفر بنى آدم ، وبكما يستوجب ابن آدم حبى .

ثم يقول وهب : فالويل ثم الويل لمن آثرهما على طاعة الله .

● ولقى عيسى بن مريم عليه السلام ابليس لعنه الله فقال له : أسألك بالحى القيوم الذى جعل عليك اللعنة ما الذى يسل جسمك ويقطع ظهرك ؟ فضرب بنفسه الأرض ثم قام فقال : لولا انك سألتنى بالحى القيوم ما اخبرتك :

أما الذى يقطع ظهرى : فصلاة الرجل فى بيته نافلة وفى الجماعة .

وأما الذى يسل جسمى : فصهيل الفرس فى سبيل الله عز وجل .

* * *

تعليق

● فى الخبر الأول : حاول الشيطان عليه لعنة الله أن يوقع سيدنا عيسى عليه السلام فى فخ من أخطر فخاخه وهو أن يقنعه بالقاء نفسه من فوق الجبل ... ولكن عيسى عليه السلام كان منتبها له تمام الانتباه ولهذا أجابه بتلك الاجابة التى مضمونها أن الله تعالى هو الذى يمتحن عبده وليس للعبد أن يمتحن ربه : وهذا أمر يحتاج دائما وأبدا الى ضرورة الاقتناع به حتى لا يكون هناك تواكل وحتى يكون هناك أخذ بالأسباب :

وقد قرأت فى هذا أن جماعة دخلوا على الامام الجنيد رحمه الله ، فقال لهم : لماذا جئتم ؟ فقالوا : جئنا نطلب الرزق ، قال : ان علمتم فى أى مكان هو فاطلبوه ، قالوا : نسأل الله ، قال : ان علمتم أنه ينساكم فذكروه ، قالوا : نجلس فى البيت ونتوكل على الله وننتظر ما يكون فقال : التوكل على التجربة شك ، قالوا : وما الحيلة ؟ قال : ترك الحيلة . أى :

على المرء أن يسعى وليس عليه ادراك النجاح

● وجاء فى الخبر الثانى : أن الشيطان يحبب الى أمة محمد الدرهم والدينار حتى يكونا عندهم أشهى من قول لا اله الا الله .

وهذا : أمر خطير : يجب علينا أن نتنبه له حتى لا نكون تحت سيطرة هذا الشيطان الرجيم الذى يبدو أنه قد عرف من أين تؤكل الكتف فالأمة المحمدية الآن قد أصبحت نهبا لأنصار الشيطان بسبب حبها للدنيا وكراهيتها للموت ، وهذا هو ما توقعه الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أن قال لأصحابه كما ورد فى حديث رواه أبو داود والبيهقى فى دلائل النبوة : **(يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن : قال قائل : يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت)** .

فلا تكن أخى عبدا للدينار والدرهم حتى لا تكون أداة فساد وافساد فى يد هذا الشيطان اللعين الذى **(يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير)** وتذكر القول المأثور : **(قليل يكفيك خير من كثير يطغيك)** .

● وفى الخبر الثالث : يقول ابليس ان الذى يقصم ظهره : صلاة الرجل نافلة فى بيته ، وصلاته مع جماعة المسلمين وهذا يؤكد افضلية صلاة النافلة فى البيت ، كما يؤكد افضلية صلاة الجماعة : **(فالفضل ما شهدت به الأعداء)** وقد ورد فى الحديث الشريف : **(اذا صلى أحدكم الصلاة فى مسجد . فليجعل لبيته نصيبا من صلاته فان الله عز وجل جاعل فى بيته من صلاته خيرا)** . رواه أحمد ومسلم عن جابر .

وقد حث النبى صلى الله عليه وسلم على النافلة فى البيت لكونها اخفى وأبعد عن الرياء وأصون من محبطات الأعمال وليتبرك البيت بذلك وتنزل فيه الرحمة والملائكة ، وينفر منه الشيطان .

وأما عن صلاة الجماعة فقد رغب الرسول صلى الله عليه وسلم فيها فقال : **(صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه اذا توضأ فاحسن الوضوء ، ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة ، وحطت عنه بها خطيئة ، فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه ما لم يحدث تقول : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة)** . رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى : ولعلك قد أدركت بعد هذين الحديثين لماذا يقصم ظهر الملعون : الذى أرجو أن تكون دائما وأبدا قاصما لظهره .

* * *

الشيطان وبرصيصا العابد

قال ابن عباس رضى الله عنهما :

كان زاهد فى الفترة يقال له برصيصا تعبد فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين ، وان ابليس اعياه فى أمر الحيل ، فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال : ألا أحد منكم يكفينى أمر برصيصا ؟ فقال الأبيض(١) لابليس : أنا أكفيك : فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط راسه واتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه ، وكان لا ينفتل(٢) عن صلاته الا فى كل عشرة أيام ، ولا يفطر الا فى عشرة أيام مرة ، فلما رأى الأبيض انه لا يجيبه اقبل على صلاته وعلى العبادة فى أصل صومعته ، فلما انفتل برصيصا أطلع من صومعته فرأى الأبيض قائما يصلى فى هيئة حسنة من الرهبان ، فلما رأى ذلك من حاله قال له : انك ناديتنى وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك ؟ قال : حاجتى انى أحببت أن أكون معك وأتأدب بك وأقتبس من عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لى وأدعو لك قال برصيصا : انا فى شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما أدعو للمؤمنين نصيبا ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض ، وأقبل الأبيض يصلى فلم يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما بعدها ، فلما انفتل رآه قائما يصلى ، فلما رأى شدة اجتهاده قال له : ما حاجتك ؟ قال : حاجتى أن تأذن لى فأرتفع اليك : قال : فأذن له فارتفع اليه فى صومعته وأقام معه حولا(٣) يتعبد لا يفطر الا فى كل أربعين يوما ولا ينفتل عن صلاته الا فى كل أربعين يوما مرة وربما يزيد الى الثمانين ، فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شأن الأبيض ، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا انى منطلق فان لى صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما أرى وكأنه بلغنا عنك غير الذى رأيت فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقته لما رأى من شدة اجتهاده فلما ودعه قال له الأبيض : ان عندى دعوات أعلمكها تدعو بهن فهن خير لك مما أنت فيه يشفى الله بها السقيم ويعافى بها المبتلى والمجنون . قال برصيصا : انى أكره هذه المنزلة لأن لى فى نفسى شغلا وانى أخاف ان علم الناس به شغلونى عن العبادة فلم يزل به الأبيض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى ابليس ، فقال : والله أهلكت الرجل .

---

(١) وهو الشيطان الذى سنعرف قصته بعد ذلك مع العابد .

(٢) أى لا يفرغ من صلاته .

(٣) أى سنة .

قال : فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء في صورة رجل متطبب فقال لأهله : ان بصاحبكم جنونا أفأعالجه ؟ فقالوا : نعم . فقال : انى لا أقوى على جنيته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله فيشفيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذى اذا دعى الله به أجاب ، فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعى بتلك الدعوات فذهب عنه الشيطان وكان الأبيض يفعل مثل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو فيعافون ، فانطلق الأبيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بنى اسرائيل فعذبها وخنقها ، ثم جاء اليهم فى صورة متطبب فقال لهم : أعالجها ؟ قالوا : نعم قال : ان الذى عرض لهـا مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى رجل تثقون فيه وتدعونها عنده اذا جاء شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت تردونها صحيحة ، قالوا : فكيف لنا أن يجيبنا الى هذا وهو أعظم شأنا من ذلك ؟ قال : ابتنوا صومعة الى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه فان قبلها والا فضعوها عنده فى صومعته ثم قولوا له : هى أمانة عندك فاحتسب فيها .

قال : فانطلقوا اليه فسألوه فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض ووضعوا الجارية فى صومعته وقالوا : هذه أختنا ثم انصرفوا .

فلما التفت برصيصا من صلاته عاين الجارية وما بها من الجمال فأسقط فى يده ودخل عليه أمر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعى برصيصا بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان ، ثم أقبل على صلاته ثم جاء الشيطان فخنقها وكانت تكشف عن نفسها : فجاءه الشيطان وقال : واقعها(١) فتتوب بعد فتدرك ما تريد من الأمر ، فلم يزل به حتى واقعها ، فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها .

فقال له الشيطان : ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن نقتلها فتتوب فاذا سألوك فقل : ذهب بها شيطانها فلم أقو عليه : فدخل برصيصا فقتلها . ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل . فجاء الشيطان وهو يدفنها ليلا فأخذ بطرف ازارها فبقى طرف ازارها خارجا من التراب ، ثم رجع برصيصا الى صومعته فأقبل على صلاته اذ جاء أخوتها يتعاهدون أختهم ، وكانوا يسألونه عنها فقالوا : يا برصيصا ما فعلت أختنا ؟ فقال : جاء شيطانها فذهب بها فلم أطقه ، فصدقوه وانصرفوا . فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان أكبرهم فى منامه فقال : ويحك ان برصيصا فعل بأختك كذا وكذا ودفنها فى موضع كذا وكذا فقال الأخ : هذا حلم وهو من الشيطان . برصيصا خير من ذلك . قال : فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق الى الأوسط بمثل ذلك فقال مثل ما قال الأول ، فانطلق الى أصغرهم بمثل ذلك ، فقال أصغرهم لاخوته : والله لقد رأيت كذا وكذا ، فقال الأوسط : قد رأيت مثله ، فقال الأكبر : وانا رأيت مثله .

---

(١) أى ازن بهـا .

فانطلقوا الى برصيصا فقالوا : ما فعلت بأختنا ؟ فقال : أليس قد علمتم ، فاستحيوا منه وقالوا : والله لانتهمك ، فانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال : ويحكم انها لمدفونة فى موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من التراب ، فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا فى النوم فمشوا الى مواليهم وغلمانهم معهم الفؤوس والمساحى فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كتفوه فانطلقوا به الى الملك فأقر على نفسه ، وذلك أن الشيطان أتاه فقال تقتلها ثم تنكر أعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة .

فلما صلب أتاه الأبيض فقال : أتعرفنى ؟ قال : لا ، قال : أنا صاحبك الذى علمتك الدعوات فاستجيب لك ، ويحك أما استحييت فى أمانة خنت أهلها وانك زعمت أنك أعبد بنى اسرائيل ، أما استحييت ، فلم يزل يغويه ، ثم قال فى آخر ذلك : ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت نفسك وفضحت أشباهك من الناس فان مت على هذه الحال لم يفلح أحد من نظرائك قال : فكيف أصنع ؟ قال : تعطينى خصلة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه ، فآخذ بأعينهم وأخرجك من مكانك ، قال : وما هى ؟ قال : تسجد لى ، قال : أفعل ، فسجد له ، ثم قال له الشيطان :

هذا الذى أردت منك ، صارت عاقبة أمرك الى أن كفرت بربك : **(انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين)**(١) .

* * *

تعليق

●● فتأمل : أخا الاسلام ، كيف استطاع الشيطان الرجيم اغواء هذا العابد الذى كان نشيطا فى عبادته لله تعالى ، والذى احتال عليه الشيطان حتى أوقعه فى شباكه بما أوتى من مكر وخداع وتزييف للحقائق .

ثم بعد ذلك وبعد أن أوقعه فى جريمة الزنا ، والقتل وأخرجه من حظيرة الايمان بالله : تبرأ منه .

وفى ذلك يقول تبارك وتعالى فى سورة الحشر : **(كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين)** .

● ● وهكذا : سيفعل الشيطان الأكبر يوم القيامة بعد أن يقضى بالأمر أى بعد أن يؤمر بأهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار .

سيؤتى له بمنبر من نار ليخطب عليه الخطبة التى سجلها الله تعالى فى سورة ابراهيم ، والتى يقول الله تبارك وتعالى فيها :

---

(١) الحشر : (من الآية ١٦) .

خطبة إبليس

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

فمعنى هذه الخطبة كما جاء فى كتب التفسير : ان ابليس عندما اجتمع حوله أهل النار يلومونه — قال لهم : **(ان الله وعدكم وعد الحق)** : أى بالبعث والجزاء ، **(ووعدتكم فأخلفتكم)** : أى ووعدتكم أنه غير كائن ، فأخلفتكم أى تبين خلافه ، **(وما كان لى عليكم من سلطان)** : أى ما كان لى عليكم من قوة أو قدرة اقهركم بها على متابعتى **(الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم)** أى : على اجابتكم لى **(ما أنا بمصرخكم)** أى بمغيثكم من العذاب **(وما أنتم بمصرخى)** أى من العذاب .

ثم بعد ذلك يعلن براءته من هؤلاء الذين اتبعوه فيقول : **(انى كفرت بما أشركتمون من قبل)** : أى تبرأت وأنكرت اشراككم اياى مع الله حيث أطعتمونى فى وسوستى لكم بالشرك .

ثم يقرر بعد ذلك مصيره فيقول : **(ان الظالمين لهم عذاب أليم)** وقيل : هذا الجزء هو تقرير الله سبحانه وتعالى عن الشيطان .

●● فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وتبرأ من هذا اللعين قبل أن يتبرأ منك ، وتذكر دائما وأبدا أنه يحرص على ضياعك وخروجك من هذه الدنيا بدون حسنة واحدة .

وقد قرأت فى هذا ، أنه : رأى رجلا يجلس بجوار جدار أوشك على السقوط ، **فانتشل الرجل من يده بعيدا عن هذا الجدار الذى سقط بعد هذا**

مباشرة ، ففرح الرجل بنجاته من هذا الهلاك الذى كان محققا لولا انقاذ هذا الرجل له .

ثم يقبل عليه شاكرا له هذا الانقاذ الذى كتب له بسببه النجاة ، ثم يسأله من أنت ؟ فيقول له : أنا ابليس ! فتعجب الرجل الذى كاد أن يصعق بسبب هـذا ، ثم يقول لابليس : ولماذا انقذتنى وقد كان لزاما عليك بصفة خاصة أن تتركنى حتى أموت تحت انقاض هذا الجدار ؟.

فيقول له ابليس : اننى ما فعلت هذا حبا فيك ، ولكن مخافة أن تموت شـهيدا .

● فهذا يا أخى هو ابليس اللعين الذى يحذرنا الله سبحانه وتعالى منه ومن فتنه فيقول :

(يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾)

فاعمل بنصيحة الله تعـالى لك ولا تكن معينا للشيطان على نفسك بفعل الموبقات وارتكاب المخالفات التى حذرنا الله سبحانه وتعالى منها فى قوله :

(يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام(١) رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) ؟(٢) .

واذا كنت قد اخترت هاتين الآيتين اللتين يأمرنا الله سبحانه وتعـالى فيهما باجتناب الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، ثم يشير الى الحكمة فى تحريم كل هذا فيقول : **(رجس(٣) من عمل الشيطان فاجتنبوه ...) .**

● فلأن الخمر بصفة خاصة هى ، أم الخبائث .
وقد قرأت فى تأكيد هذا عن الزهرى رضى الله عنه ، أن عثمان بن عفان رضى الله عنه قام خطيبا فقال :

ايها الناس ، اتقوا الخمر فانها أم الخبائث ، وان رجلا كان قبلكم من العباد وكان يختلف الى مسجده فلقيته امرأة سوء فأمرت جاريتها فأدخلته المنزل وأغلقت الباب ، وعندها خمر وصبى ، فقالت : لا تفارقنى حتى تشرب

(١) الأزلام : وهى القداح التى كانت فى البيت الحرام عند سدنة البيت .
(٢) المائدة : (الآية ٩٠ ، ٩١) . (٣) أى : نجس .

كأسا من هذا أو تواقعنى أو تقتل هذا الصبى والا صحت وقلت : هذا دخل على فى بيتى فمن الذى يصدقك فقال الرجل : أما الفاحشة فلا آتيها ، وأما النفس فلا أقتلها ، فشرب كأسا من الخمرة ، والله ما برح حتى واقع المرأة ، وقتل الصبى .

ثم قال عثمان رضى الله عنه : فاجتنبوها فانها أم الخبائث وانه والله لا يجتمع الايمان والخمر فى قلب رجل الا يوشك أن يذهب أحدهما الآخر .

يعنى أن شارب الخمر يجرى على لسانه كلمة الكفر فيخاف عليه أن يقولها عند الموت فيخرج من الدنيا على الكفر فيبقى فى حسرة وندامة .

● ● ولهذا حرم الله الخمر فى القرآن كما حرمه على لسان حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم الذى لا : **(... ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى)**(١) .

وقد ورد فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال :

● **(كل مسكر خمر وكل مسكر حرام)** .

رواه الشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى ، وفى رواية لأبى داود : **(وكل مسكر خمر وكل خمر حرام)** .

● وفى حديث آخر رواه أبو داود يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه) .

ورواه ابن ماجه وزاد : **(وآكل ثمنها)** .

● روى الحاكم : **(من زنى وشرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه)** .

● وروى الطبرانى : **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر)** .

● وروى أحمد بسند رجاله رجال الصحيح : **(مدمن الخمر ان مات ــ أى من غير توبة ــ لقى الله كعابد وثن)** .

---

(١) النجم : (من الآية ٣ ، ٤) .

● وروى أحمد واللفظ له والنسائى والبزار والحاكم وصححه : **(ثلاثة قد حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق ، والديوث الذى يقر فى أهله الخبث) .**

● وروى الطبرانى وابنا خزيمة وحبان فى صحيحيهما والبيهقى : **(ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ، ولا تصعد لهم الى السماء حسنة : العبد الآبق(١) حتى يرجع الى مواليه فيضع يده فى أيديهم ، والمراة الساخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو) .**

●● واذا كان الله تعالى قد حرم الخمر ونهى عن شربه : فقد ورد النهى كذلك عن الحشيش والأفيون وجميع المخدرات .

● ففى القرآن الكريم يقول تعالى : **(ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ...)**(٢) .

● وعن أم سلمة رضى الله عنها ، قالت : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر .

رواه أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه بسند صحيح .

●● وأما عن الميسر ، وهو : القمار ، والأنصاب ، وهى : الأصنام ،

وقيل ، هى : النرد والشطرنج ، والأزلام ، وهى : القداح التى كانت فى البيت الحرام عند سدنة البيت وخدام الأصنام ، يأتى الرجل اذا أراد حاجة فيقبض منها شيئا ، فان كان عليه : أمرنى ربى ، خرج الى حاجته على ما أحب أو كره .

فكل هذا كما فى نص الآية بالاضافة الى الخمر : قذر من عمل الشيطان فاجتنبه ، حتى لا تكون من الهالكين مع ابليس اللعين الذى يأمر بالفحشاء والمنكر ، ويدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير : أعاذنا الله منه ووقانا شره ... آمين .

●● وفى ختام هذا الفصل وحتى تكون على علم ودراية بأسلوب هذا الشيطان ومكايده(٣) وحتى لا تقع فى فخ من فخاخه التى كثيرا ما يضعها فى طريق الصالحين الذين يحرص دائما وأبدا على اغوائهم فضلا عن غيرهم لأنهم أعداؤه الحقيقيون .

---

(١) أى الهارب من سيده .

(٢) البقرة : (من الآية ١٩٥) .

(٣) بالاضافة الى ما وقفت عليه قبل هذا .

● فقد رأيت أن أسوق اليك هذا الخبر الذى يقول فيه وهب بن منبه :

بلغنا أن الخبيث ابليس تبدى ليحى بن زكريا فقال : انى أريد أن انصحك ، فقال : كذبت أنت لا تنصحنى ولكن أخبرنى عن بنى آدم ، قال : هم عندنا على ثلاثة أصناف :

● أما الصنف الأول : وهو أشد الأصناف علينا : فاننا نقبل على أحدهم حتى نفتنه ونستمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شىء أدركناه منه ، ثم نعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا .

● وأما الصنف الثانى : فهم فى أيدينا بمنزلة الكرة فى أيدى صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم .

● وأما الصنف الثالث : فهم مثلك معصومون ولا نقدر منهم على شىء .

فقال له يحيى عليه السلام : هل قدرت منى على شىء ؟ قال : لا ، الا مرة واحدة فانك قدمت طعاما تأكله فلم أزل أشهيه اليك حتى أكلت أكثر مما تريد فنمت تلك الليلة ولم تقم الى الصلاة كما كنت تقوم اليها .

فقال يحيى : لا جرم لا شبعت طعاما أبدا حتى أموت ، فقال له الخبيث : لا جرم لا نصحت آدميا بعدك أبدا .

* * *

تعليـــق

فاذا كنت يا أخى من الصنف الأول ، فاياك اياك أن تغفل عن الاستغفار والتوبة ، فقد ورد فى الحديث القدسى الذى أخرجه أبو نعيم عن أبى سعيد ما نصـــه :

● **(قال ابليس لربه بعزتك وجلالك لا أبرح أغوى بنى آدم ما دامت الأرواح فيهم . فقال ربه : بعزتى وجلالى لا أبرح أغفر لهم ما استغفرونى)** .

● وفى مسند الامام أحمد عن أبى سعيد ان الشيطان قال : **(وعزتك يا رب لا أبرح(١) اغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم ، فقال الرب عز وجل وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى لا ازال أغفر لهم ما استغفرونى)** .

وأما عن الشبع فهو من أوسع أبواب ابليس ، وشرك من عظيم احتباله

---

(١) أى سأظل فى غوايتهم .

وذلك لأنه اذا شبع الانسان المؤمن من طعام نام كثيرا فحرم من خير كثير ، وقد ورد أن لقمان الحكيم قال :

(اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبـــادة) .

وفى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال :

(ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه) رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه ..

وان صح الحديث الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم :

(نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع) : ففيه الكفاية .

* * *

الفصل الثانى

● ● والآن أخا الاسلام وبعد أن وقفت على بعض النماذج التى كانت قبل أن يبعث الحبيب محمد صلوات الله وسلامه عليه ، والتى كانت كما رأيت تشير وبوضوح الى العداوة المتمكنة من قلب هذا العدو المبين لبنى آدم انتقاما من أبيهم الذى كان سببا فى طرده من الجنة : حتى أصبح بسبب هذا الانتقام سببا فى كل فساد وافساد على وجه الأرض ، بل اساسا فيه .

فهو كما يقول ابن القيم فى كتابه اغاثة اللهفان :

● فهو ــ أى الشيطان : صاحب الأبوين حتى أخرجهما من الجنة .

● وصاحب قابيل : حتى قتل أخاه هابيل .

● وصاحب قوم نوح : حتى أغرقـــوا .

● وصاحب قوم عاد : حتى أهلكوا بالريح العقيم .

● وصاحب قوم صالح : حتى اهلكوا بالصيحة .

● وصاحب الأمة اللوطية : حتى خسف بهم واتبعوا بالرجم بالحجارة .

● وصاحب فرعون وقومه : حتى أخذوا الأخذة الرابية .

● وصاحب عباد العجل : حتى جرى عليهم ما جرى .

● وصاحب قريش : حين دعـــوا يوم بدر .

● وصاحب كل هالك ومفتون .

● ● فاذا كنا قد وقفنا على ما خلاصته كل هذا ، فقد رأيت أن نقف جميعا على حقيقة أخرى واهم :

● وهى أن الله سبحانه قد شاءت ارادته واقتضت حكمته : أن ينقذ البشر من شرور هذا الشيطان المغرور وجنوده المفسدين .

فمن على هذه الأمة المحظوظة والمحفوظة : بالنبى المصطفى محمد بن عبـــد الله :

الرحمة المهداة

صلوات الله وسلامه عليه

الذى كانت بعثته رحمة للعالمين ومنقذا كبيرا لهم من مكايد الشياطين ، بل : وطعنة فى صدر ابليس واعوانه اجمعين .

وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا فى قوله :

(لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين)(١) .

● ولهذا : فقد حدث عندما ولد الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن : **(.. أشرقت الأرض بنور ربها ...)**(٢) .

وفى هذا يقول ابن أبى حاتم فى تفسيره لهذه الآية : حدثنى أبو عبد الله الطبرانى أخبرنا حفص بن عمر حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال :

لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشرقت الأرض نورا ، وقال ابليس : لقد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا ، فقال له جنوده : فلو ذهبت اليه فخبلته(٣) فلما دنا من النبى صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل عليه فركضه ركضة فوقع بعدن .

نعم : لقد أشرقت الأرض بأنوار هذا النبى العظيم الذى أخرج الناس بنوره وهدايته من الظلمات الى النور وهداهم الى الصراط المستقيم ، وبصرهم بما يوحى اليه به عن مكايد هذا الشيطان ومداخله بل : وعلمهم كيف يتغلبون عليه ويفسدون مقاصده .

● وهذا : هو ما أريد وباختصار أن نقف عليه كما هو ثابت فى كتب السنة الصحيحة .

---

(١) آل عمران : (الآية ١٦٤) .

(٢) الزمر : (من الآية ٦٩) .

(٣) أى قتلته .

وقبل ذلك أحب أن أقف معك على بعض مكايده المتعلقة بالأمة المحمدية بصفة خاصة كما هو ثابت فى كتاب : اغاثة اللهفان لابن القيم ، وبتصرف واختصـــار .

* * *

صور من مكايد الشيطان

قال رحمه الله :

● ومن كيده للانسان : أنه يورده الموارد التى يخيـــل اليه أن فيهـــا منفعة ، ثم يصدره المصادر التي فيها عطبه ، ويتخلى عنه ويسلمه ويقف يشمت به ، ويضحك منه ، فيأمره بالسرقة والزنا والقتـــل ، ويدل عليه ويفضحه ، قال تعالى : **(واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب)(١) .**

فانه تراءى للمشركين عند خروجهم الى بدر فى صورة سراقة بن مالك وقال : أنا جار لكم من بنى كنانة أن يقصدوا أهلكم وذراريكم بسوء ، فلما رأى عدو الله جنود الله تعالى من الملائكة نزلت لنصر رســـوله فر عنهم وأسلمهم كما قال حسان بن ثابت :

دلا هـــم بغـــرور ، ثم أســـلمهم
ان الخبيـــث لمن والاه غـــــرار

● ومن كيـــده : أنه : يخوف المؤمنين من جنـــده وأوليـــائه ، فلا يجاهدونهم ولا يأمرونهم بالمعروف ، ولا ينهونهم عن المنكر ، وهذا من أعظم كيده بأهل الايمان ، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بهذا فقال : **(انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)(٢) ...**

● ومن مكايده : أنه يسحر العقل دائما حتى يكيده ، ولا يسلم من سحره الا من شاء الله فيزين الفعل الذى يضره حتى يخيل اليه أنه من أنفع الأشياء ، وينفر من الفعل الذى هو أنفع الأشياء له ، حتى يخيل له أنه يضره ، فلا اله الا الله . كم فتن بهذا السحر من انسان ، وكم حال به بين القلب والاسلام والايمان والاحسان ؟ وكم جلا الباطل وأبرزه فى صـــورة مستحسنة ، وشنع الحق وأخرجه فى صورة مســـتهجنة ؟ وكم بهرج من الزيوف على الناقدين ، وكم روج من الزغل على العارفين ؟ فهو الذى سحر العقول حتى ألقى أربابها فى الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة وسلك بهم من سبل الضلال كل مسلك والقاهم من المهالك فى مهلك بعد مهلك وزين لهم عبادة الأصنام ، وقطيعة الأرحام ووأد البنات ، ونكاح الأمهات ووعدهم

---

(١) الأنفـــال : (الآية ٤٨) .
(٢) آل عمران : (الآية ١٧٥) .

الفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان ، وأبرز لهم الشرك فى صورة التعظيم ، والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه بكتبه فى قالب التنزيه ، وترك أمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى قالب التودد الى النـــاس وحسن الخلق معهم ، والعمل بقوله تعـــالى : (**عليكم أنفسكم**)(١) ، والأعراض عما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام فى قالب التقليد ، والاكتفاء بقول من هو أعلم منهم ، والنفاق والادهان فى دين الله فى قالب العقل المعيشى الذى يندرج به العبد بين الناس .

● ومن كيده العجيب : أنه يشام النفس ، حتى يعلم أى القوتين تغلب عليها : قوة الاقدام والشجاعة أم قوة الانكفاف والاحجام والمهانة ؟ : فان رأى الغالب على النفس المهانة والاحجام أخذ فى تثبيطه واضعاف همتـــه وارادته عن المأمور به ، وثقله عليه ، فهون عليه تركه ، حتى يتركه جملة أو يقصد فيه ويتهاون به . وان رأى الغالب عليه قوة الاقدام وعلو الهمة أخذ يقلل عنده المأمور به ، ويوهمه أنه لا يكفيه ، وأنه يحتـــاج معه الى مبالغة وزيادة فيقصر بالأول ويتجاوز بالثانى ، كما قال بعض الســـلف : **(ما أمر الله تعالى بأمر الا وللشيطان فيه نزعتان : أما الى تفريط وتقصير ، واما الى مجاوزة وغلو ، ولا يبالى بأيهما ظفر) ...**

● ومن حيله ومكايده : الكلام الباطل ، والآراء المتهافتة ، والخيالات المتناقضة ، التى هى زبالة الأذهان ، ونحاتة الأفكار ، والزبد الذى يقذف به القلوب المظلمة المتحيرة ، التى تعدل الحق بالباطل والخطأ بالصواب ، قد تقاذفت بها أمواج الشبهات ورانت عليها غيوم الخيالات ، فمركبها القيل والقال ، والشك والتشكيك ، وكثرة الجدال ، ليس لها حاصل من اليقين يعول عليه ، ولا معتقد مطابق للحق يرجع اليه ، يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، فقد اتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجورا ، وقالوا من عند أنفسهم فقالوا منكرا من القول وزورا ، فهم فى شكهم يعمهون ، وحيرتهم يترددون ، نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما تلته الشياطين على السنة أسلافهم من أهل الضلال ، فهم اليه يحاكمون ، وبه يتخاصمون فارقوا الدليل واتبعوا أهواء قوم قـــد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل .

● ومن كيده بهم وتحيله على اخراجهم من العلم والدين : أن القى على السنتهم أن كلام الله ورسوله ظواهر لفظية لا تفيد اليقين ، وأوحى اليهم أن القواطع العقلية والبراهين اليقينية فى المناهج الفلسفية ، والطرق الكلامية ، فحال بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القرآن ، وأحالهم على منطق يونان وعلى ما عندهم من الدعاوى الكاذبة العرية عن البرهان وقال لهم : تلك علوم قديمة صقلتها العقول والأذهان ، ومرت عليها القرون والأزمان فانظر كيف تلطف بكيده ومكره حتى أخرجهم من الايمان ، كاخراج الشعرة من العجين .

---

(١) المائدة : (من الآية ١٠٥) .

● ومن كيده : ما ألقاه الى جهال المتصوفة من الشطح والطامات ، وأبرزه لهم فى قالب الكشف من الخيالات ، فأوقعهم فى أنواع الأباطيل والترهات وفتح لهم أبواب الدعاوى الهائلات ، وأوحى اليهم : أن وراء العلم طريقا ان سلكوه أفضى بهم الى كشف العيان ، وأغناهم عن التقيد بالسنة والقرآن ، فحسن لهم رياضة النفوس وتهذيبها ، وتصفية الأخلاق والتجافى عما عليه أهل الدنيا ، وأهل الرياسة والفقهاء ، وأرباب العلوم ، والعمل على تفريغ القلب وخلوه من كل شىء ، حتى ينتقش فيه الحق بلا واسطة تعلم ، فلما خلا من صورة العلم الذى جاء به الرسول نقش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعد له من أنواع الباطل ، وخيله للنفس حتى جعله كالمشاهد كشفا وعيانا ، فاذا أنكره عليهم ورثة الرسل قالوا : لكم العلم الظاهر ولنا الكشف الباطن ، ولكم ظاهر الشريعة ، وعندنا باطن الحقيقة ، ولكم القشور ولنا اللباب ، فلما تمكن هذا من قلوبهم سلخها من الكتاب والسنة والآثار كما ينسلخ الليل والنهار ، ثم أحالهم فى سلوكهم على تلك الخيالات ، وأوهمهم أنها من الآيات البينات ، وأنها من قبل الله سبحانه الهامات وتعريفات ، فلا تعرض على السنة والقرآن ، ولا تعامل الا بالقبول والاذعان فلغير الله لا له سبحانه ما يفتحه عليهم الشيطان من الخيالات والشطحات ، وأنواع الهذيان وكلما ازدادوا بعدا واعراضا عن القرآن وما جاء به الرسول كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم .

● ومن مكايده ومكره : أن يدعو العبد بحسن خلقه وطلاقته وبشره الى أنواع من الآثام والفجور ، فيلقاه من لا يخلصه من شره الا تجهمه والتعبيس فى وجهه والاعراض عنه ، فيحسن له العدو أن يلقاه ببشره ، وطلاقة وجهه وحسن كلامه ، فيتعلق به ، فيروم التخلص منه فيعجز ، فلا يزال العدو يسعى بينهما حتى يصيب حاجته ، فيدخل على العبد بكيده من باب حسن الخلق ، وطلاقة الوجه ، ومن ههنا وصى أطباء القلوب بالاعراض عن أهل البدع وأن لا يسلم عليهم ، ولا يريهم طلاقة وجهه ، ولا يلقاهم بالعبوس والاعراض . وكذلك أوصوا عند لقاء من يخاف الفتنة بلقائه من النساء والمردان ، وقالوا : متى كشفت للمرأة والصبى بياض أسنانك كشفا لك عن هنالك ، ومتى لقيتهما بوجه عابس وقيت شرهما .

● ومن مكايده : انه يأمرك أن تلقى المساكين وذوى الحاجات بوجه عبوس ولا تريهم بشرا ولا طلاقة ، فيطمعوا فيك ، ويتجرأوا عليك وتسقط هيبتك من قلوبهم ، فيحرمك صالح أدعيتهم ، وميل قلوبهم اليك ، ومحبتهم لك ، فيأمرك بسوء الخلق ، ومنع البشر والطلاقة مع هؤلاء ، وبحسن الخلق والبشر مع أولئك ، ليفتح لك باب الشر ، ويغلق عنك باب الخير .

● ومن مكايده : انه يأمرك باعزاز نفسك وصونها حيث يكون رضى الرب تعالى فى اذلالها وابتذالها ، كجهاد الكفار والمنافقين وأمر الفجار

والظلمة بالمعروف ونهيهم عن المنكر فيخيل اليك أن ذلك تعريض لنفسك الى مواطن الذل ، وتسليط الأعداء وطعنهم فيك فيزول جاهك فلا يقبل منك بعد ذلك ولا يسمع منك ويأمرك باذلالها وامتهانها حيث تكون مصلحتها فى اعزازها وصيانتها ، كما يأمرك بالتبذل لذوى الرياسات ، واهانة نفسك لهم ، ويخيل اليك انك تعزها بهم وترفع قدرها بالذل لهم ، ويذكرك قول الشاعر :

أهين لهم نفسى لأرفعها لهم ولن تكرم النفس التى لا تهينها

وغلط هذا القائل : فان ذلك لا يصلح الا لله وحده ، فانه كلما اهان العبد نفسه له اكرمه واعزه ، بخلاف المخلوق ، فانك كلما اهنت نفسك له ذللت عند الله وعند أوليائه وهنت عليه .

● ومن كيده وخداعه : انه يأمر الرجل بانقطاعه فى مسجد ، أو رباط ، أو زاوية ، او تربة ويحبسه هناك ، وينهاه عن الخروج ، ويقول له : متى خرجت تبذلت للناس ، وسقطت من أعينهم وذهبت هيبتك من قلوبهم ، وربما ترى فى طريقك منكرا ، وللعدو فى ذلك مقاصد خفية يريدها منه : منها الكبر واحتقار الناس ، وحفظ الناموس ، وقيام الرياسة ، ومخالطة الناس تذهب ذلك ، وهو يريد أن يزار ولا يزور ، ويقصده الناس ولا يقصدهم ، ويفرح بمجيء الأمر اليه ، واجتماع الناس عنده ، وتقبيل يده ، فيترك من الواجبات والمستحبات والقربات ما يقربه الى الله ، ويتعوض عنه بما يقرب الناس اليه .

وقد كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يخرج الى السوق ، قال بعض الحفاظ : (وكان يشترى حاجته ويحملها بنفسه) ذكره أبو الفرج الجوزى وغيره .

وكان أبو بكر رضى الله عنه يخرج الى السوق يحمل الثياب ، فيبيع ويشترى .

ومر عبد الله بن سلام رضى الله عنه وعلى راسه حزمة حطب ، فقيل له : ما يحملك على هذا وقد أغناك الله عز وجل ؟ فقال : اردت أن ادفع به الكبر ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يدخل الجنة عبد فى قلبه مثقال ذرة من الكبر) .

وكان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يحمل الحطب وغيره من حوائج نفسه وهو أمير على المدينة ، ويقول : (أفسحوا لأميركم أفسحوا لأميركم) .

وخرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوما وهو خليفة فى حاجة له

ماشيا ، فأعيى ، فرأى غلاما على حمار له ، فقال : يا غلام احملنى فقد أعييت ، فنزل الغلام عن الدابة ، وقال : اركب يا أمير المؤمنين ، فقال : لا ، اركب انت وانا خلفك ، فركب خلف الغلام ، حتى دخل المدينة والناس يرونه .

● ومن كيده : انه يغرى الناس بتقبيل يده ، والتمسح به والثناء عليه ، وسؤاله الدعاء ، ونحو ذلك ، حتى يرى نفسه ، ويعجبه شأنها فلو قيل له : انك من أوتاد الأرض ، وبك يدفع البلاء عن الخلق ، ظن ذلك حقا ، وربما قيل له : انه به يتوسل به الى الله تعالى ويسأل الله تعالى به وبحرمته ، فيقضى حاجتهم ، فيقع ذلك فى قلبه ويفرح به ، ويظنه حقا ، وذلك كل الهلاك، فاذا رأى من أحد من الناس تجافيا عنه ، أو قلة خضوع له ، تذمر لذلك ووجد فى باطنه ، وهذا أشر من أرباب الكبائر المصرين عليها ، وهم أقرب الى السلامة منه .

● ومن كيده : انه يحسن الى أرباب التخلى والزهد والرياضة العمل بها جسم وواقعهم ، دون تحكيم أمر الشارع ، ويقولون : القلب اذا كان محفوظا مع الله كانت هواجسه وخواطره معصومة من الخطأ ، وهذا من أبلغ كيد العدو فيهم : فان الخواطر والهواجس ثلاثة أنواع : رحمانية : وشيطانية ، ونفسانية ، كالرؤيا ، فلو بلغ العبد من الزهد والعبادة ما بلغ فمعه شيطانه ونفسه لا يفارقانه الى الموت ، والشيطان يجرى منه مجرى الدم ، والعصمة انما هى للرسل صلوات الله وسلامه عليهم الذين هم وسائط بين الله عز وجل وبين خلقه فى تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده ، ومن عداهم يصيب ويخطىء ، وليس بحجة على الخلق .

وقد كان سيد المحدثين الملهمين : عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول الشىء فيرده عليه من هو دونه ، فيتبين له الخطأ ، فيرجع اليه وكان يعرض هواجسه وخواطره على الكتاب والسنة ، ولا يلتفت اليها ولا يحكم بها ولايعمل بها .

وهؤلاء الجهال يرى أحدهم أدنى شىء فيحكم هواجسه وخواطره على الكتاب والسنة ولا يلتفت اليها ، ويقول : حدثنى قلبى عن ربى ، ونحن أخذنا عن الحى الذى لا يموت ، وأنتم أخذتم عن الوسائط ونحن أخذنا بالحقائق ، وأنتم اتبعتم الرسوم ، وأمثال ذلك من الكلام الذى هو كفر والحاد ، وغاية صاحبه أن يكون جاهلا يعذر بجهله ، حتى قيل لبعض هؤلاء الا تذهب فتسمع الحديث من عبد الرازق ؟ فقال : ما يصنع بالسماع من عبد الرازق من يسمع من الملك الخلاق ؟

وهذا غاية الجهل ، فان الذى سمع من الملك الخلاق موسى بن عمران كليم الرحمن . وأما هذا وأمثاله فلم يحصل لهم السماع من بعض ورثة

الرسول وهو يدعى أنه يسمع الخطاب من مرسله ، فيستغنى به عن ظاهر العلم ، ولعل الذى يخاطبهم هو الشيطان أو نفسه الجاهلة ، أو هما مجتمعين ، ومنفردين .

ومن ظن أنه يستغنى عما جاء به الرسول بما يلقى فى قلبه من الخواطر والهواجس فهو من أعظم الناس كفرا ، وكذلك ان ظن أنه يكتفى بهذا تارة وبهذا تارة ، فما يلقى فى القلوب لا عبرة به ولا التفات اليه ان لم يعرض على ما جاء به الرسول ويشهد له بالموافقة والا فهو من القاء النفس والشيطان .

وقد سئل عبد الله بن مسعود عن مسألة المفوضة شهرا ، فقال بعد الشهر : « أقول فيها برأيى فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمنى ومن الشيطان ، والله برىء منه ورسوله » .

● ومن كيده : أمرهم بلزوم زى واحد ، ولبسة واحدة ، وهيئة ومشية معينة ، وشيخ معين ، وطريقة مخترعة ، ويفرض عليهم لزوم ذلك بحيث يلزمونه كلزوم الفرائض ، فلا يخرجون عنه ويقدحون فيمن خرج عنه ويذمونه وربما يلزم أحدهم موضعا معينا للصلاة لا يصلى الا فيه ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم **(أن يوطن الرجل المكان للصلاة كما يوطن البعير)** وكذلك ترى أحدهم لا يصلى الا على سجادة ، ولم يصل عليه السلام على سجادة قط ، ولا كانت السجادة تفرش بين يديه ، بل كان يصلى على الأرض وربما سجد فى الطين ، وكان يصلى على الحصير ، فيصلى على ما اتفق بسطه ، فان لم يكن ثمة شىء صلى على الأرض ...

● ومن كيده الذى بلغ به من الجهال ما بلغ : الوسواس الذى كلدهم به فى أمر الطهارة والصلاة عند عقد النية ، حتى ألقاهم فى الآصاد والأغلال وأخرجهم عن اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخيل الى أحدهم أن ما جاءت به السنة لا يكفى حتى يضم اليه غيره ، فجمع لهم بين هذا الظن الفاسد ، والتعب الحاضر ، وبطلان الأجر أو تنقيصه .

ولا ريب أن الشيطان هو الداعى الى الوسواس : فأهله قد أطاعوا الشيطان ، ولبوا دعوته ، واتبعوا أمره ، ورغبوا عن اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقته ، حتى أن أحدهم ليرى أنه اذا توضأ وضوء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو اغتسل كاغتساله ، لم يطهر ولم يرتفع حدثه ، ولولا العذر بالجهل لكان هذا مشاقة للرسول ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ بالمد ، وهو قريب من ثلث رطل

بالدمشقى(١) ، ويغتسل بالصاع وهو نحو رطل وثلث ، والموسوس يرى أن ذلك القدر لا يكفيه لغسل يديه ، وصح عنه عليه السلام أنه توضأ مرة مرة ، ولم يزد على ثلاث بل أخبر أن « من زاد عليها فقد أساء وتعدى وظلم »(٢) : فالموسوس مسيء متعد ظالم بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف يتقرب الى الله بما هو مسيء به متعد فيه لحدوده ؟.

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يغتسل هو وعائشة رضى الله عنها من قصعة بينهما فيها أثر العجين ، ولو رأى الموسوس من يفعل هذا لأنكر عليه غاية الانكار ، وقال : ما يكفى هذا القدر لغسل اثنين ؟ كيف والعجين يحلله الماء فيغيره ؟ هذا والرشاش ينزل فى الماء فينجسه عند بعضهم ، ويفسده عند آخرين ، فلا تصح به الطهارة ، وكان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك مع غير عائشة ، مثل ميمونة وأم سلمة ، وهذا كله فى الصحيح .

وثبت أيضا فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال : « كان الرجال والنساء على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتوضئون من اناء واحد » والآنية التى كان عليه السلام وأزواجه وأصحابه ونساؤهم يغتسلون منها لم تكن من كبار الآنية ولا كانت لها مادة تمدها كأنبوب الحمام ونحوه ، ولم يكونوا يراعون فيضانها حتى يجرى الماء من حافتها ، كما يراعيه جهال الناس ممن بلى بالوسواس فى جرن الحمام(٣) .

فهدى الرسول صلى الله عليه وسلم الذى من رغب عنه فقد رغب عن سنته : جواز الاغتسال من الحياض والآنية ، وان كانت ناقصة غير فائضة ، ومن انتظر الحوض حتى يفيض ثم استعمله وحده ولم يمكن أحدا أن يشاركه فى استعماله فهو مبتدع مخالف للشريعة .

ودلت هذه السنن الصحيحة على أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يكونوا يكثرون صب الماء ومضى على هذا التابعون لهم باحسان .

ثم يقول ابن القيم فى فصل آخر :

ثم ان طائفة : الموسوسين قد تحقق منهم طاعة الشيطان ، حتى اتصفوا بوسوسته ، وقبلوا قوله ، وأطاعوه ، ورغبوا عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ، حتى ان أحدهم ليرى أنه اذا توضأ

---

(١) المد : ربع الصاع . قال فى القاموس : ملء كفى الانسان المعتدل اذا ملأهما ومد يده بهما وبه سمى مدا . قال وقد جربت ذلك فوجدته صحيحا .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . وصححه ابن خزيمة وغيره .

(٣) الجرن (بضم الجيم وسكون الراء) : حجر منقور يتوضأ منه .

وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم أو صلى كصلاته ، فوضوؤه باطل ، وصلاته غير صحيحة ويرى أنه اذا فعل مثل فعل رسول الله عليه الصلاة والسلام فى مواكلة الصبيان ، وأكل طعام عامة المسلمين أنه قد صار نجسا ، يجب عليه تسبيع(١) يده وفمه ، كما لو ولغ فيهما كلب أو بال عليهما هر .

ثم بلغ من استيلاء ابليس عليهم أنهم أجابوه الى ما يشبه الجنون ، ويقارب مذهب السوفسطائية الذين ينكرون حقائق الموجودات ، والأمور المحسوسات ، وعلم الانسان بحال نفسه من الأمور الضروريات اليقينيات ، وهؤلاء يغسل أحدهم عضوه غسلا يشاهده ببصره ويكبر ، ويقرأ بلسانه ، بحيث تسمعه أذناه ، ويعلمه بقلبه ، بل يعلمه غيره منه ويتيقنه ثم يشك : هل فعل ذلك أم لا ؟ وكذلك يشككه الشيطان فى نيته وقصده التى يعلمها من نفسه يقينا ، بل يعلمها غيره بقرائن أحواله . ومع هذا يقبل قول ابليس فى أنه ما نوى الصلاة ، ولا أداها ، مكابرة منه لعيانه ، وجحدا ليقين نفسه ، حتى تراه متلددا متحيرا : كأنه يعالج شيئا يجتذبه ، أو يجد شيئا فى باطنه يستخرجه ، كل ذلك مبالغة فى طاعة ابليس ، وقبول وسوسته ، ومن انتهت طاعته لابليس الى هذا الحد فقد بلغ النهاية فى طاعته .

ثم انه يقبل قوله فى تعذيب نفسه ويطيعه فى الاضرار بجسده ، تارة فى الغوص فى الماء البارد ، وتارة بكثرة استعماله واطالة العرك ، وربما فتح عينيه فى الماء البارد ، وغسل داخلهما حتى يضر بصره ، وربما أفضى الى كشف عورته للناس ، وربما صار الى حال يسخر منه الصبيان ويستهزىء به من يراه .

قلت : ذكر أبو الفرج بن الجوزى عن أبى الوفاء بن عقيل : أن رجلا قال له : أنغمس فى الماء مرارا كثيرة وأشك ، هل صح لى الغسل أم لا ؟ فما ترى فى ذلك ؟ فقال له الشيخ : اذهب ، فقد سقطت عنك الصلاة . قال : كيف ؟ قال : لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال « رفع القلم عن ثلاثة : المجنون حتى يفيق ، والنائم حتى يستيقظ ، والصبى حتى يبلغ(٢) » ، ومن ينغمس فى الماء مرارا ويشك هل أصابه الماء أم لا ، فهو مجنون .

قال : وربما شغله بوسواسه حتى تفوته الجماعة ، وربما فاته الوقت ، ويشغله بوسوسته فى النية حتى تفوته التكبيرة الأولى ، وربما فوت عليه ركعة أو أكثر ، ومنهم من يحلف أنه لا يزيد على هذا ، ثم يكذب .

قلت : وحكى لى من أثق به عن موسوس عظيم رأيته أنا يكرر عقد النية مرارا عديدة فيشق على المأمومين مشقة كبيرة ، فعرض له أن حلف بالطلاق

---

(١) أى يغسل يده وفمه سبع مرات .

(٢) أى حتى يحتلم ، والحديث صحيح .

أنه لا يزيد على تلك المرة ، فلم يدعه ابليس حتى زاد ففرق بينه وبين امرأته ، فأصابه لذلك غم شـــديد ، وأقاما متفرقين دهرا طويلا ، حتى تزوجت تلك المرأة برجل آخر وجاء منها ولد ، ثم انه حنث فى يمين حلفها ففرق بينهما وردت الى الأول بعد أن كاد يتلف لمفارقتها .

الى أن يقول رحمه الله :

فمن أراد التخلص من هذه البلية فليستشعر أن الحق فى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله وفعله وليعزم على سلوك طريقته عزيمة من لا يشك أنه على الصراط المستقيم ..

ثم ليعـــلم أن الصحابة ما كان فيهم موسوس ولو كانت الوسوسة فضيلة لما ادخرها الله عن رسوله وصحابته ، وهم خير الخلق وأفضلهم ، ولو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم الموسوسين لمقتهم ، ولو أدركهم عمر رضى الله تعالى عنه لضربهم وأدبهم ، ولو أدركهم الصحابة لمنعوهم .

●● فالوسوسة اذن يا أخى من الشيطان ، واذا كان الشيطان كما رأيت يلعب دورا كبيرا فى حياة العباد حتى يفسد عليهم عباداتهم وحتى لا تقبل منهم تلك العبادات مع غيرها من القربات : فهو اذن عدو مبين لابد من محاربته والتغلب عليه .

وقد يتساءل البعض وكيف السبيل الى هذا ؟ فيكون جوابى على هذا التساؤل الهام هو ما جاء فى هذا الأثر :

حكى عن بعض السلف أنه قال لتلميذه ما تصنع بالشيطان اذا سول لك الخطايا ؟ قال : أجاهده ، قال : فان عاد ؟ قال : أجاهده ، قال : فان عاد ؟ قال : أجاهده ، قال : هذا يطول أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع ؟ قال : أكابده وأرده جهدى . قال : هـــذا يطول عليك ، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك .

●● ولهـــذا فاننا بعون الله تعالى سنستعين بالله سبحانه وتعالى على هذا اللعين ، وستكون استعانتنا به سبحانه عن طريق :

* * *

الإستعَاذة

وهى : اللجوء الى الله سبحانه وتعالى للاستعاذة به :

وقد ورد فى حديث شريف أن عبد الرحمن بن حنيش سئل : أدركت النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قلت : كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين ؟ فقال : ان الشياطين تحدرت(١) تلك الليلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهبط اليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد قل ، قال : ما أقول ؟ قال : قل :

أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق الا طارقا يطرق بخير يا رحمن ، قال : فطفئت نارهم ، وهزمهم الله تعـالى .

● كما ورد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين فيقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » : ثم يقول : هكذا كان ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ اسماعيل واسـحاق .

●● فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم كما رأيت قد أمره جبريل بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم كما رأيت كذلك قد عوذ حفيديه الحسن والحسين من الشيطان كما كان جده الخليل عليه السلام يعوذ ولديه اسماعيل واسحاق : فنحن كذلك وأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم يجب علينا أن نتعوذ بالله تعالى من شر هذا الشيطان الذى لا حول لنا ولا قوة عليه الا بالله : ولا سيما :

● عند تلاوة القرآن ، وقد أمر الله تعالى بها فقال : ((**فاذا قرأت القـرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**))(٢) : أى اذا أردت أن تقرأ

---

(١) تحدرت : أى تنزلت .

(٢) النحـل : (الآية ٩٨) .

القرآن ، وذلك كما يقول أحد العلماء : لأن الشيطان يجلب على القارىء بخيله ورجله حتى يشغله عن تدبر القرآن وفهمه فلا يكمل انتفاع القارىء فأمر عند الشروع أن يستعيذ بالله منه .

وقيل : لأن الملائكة تدنو للقراءة وتسمعها كما فى حديث أسيد بن حضير لما كان يقرأ ورأى مثل الظلة فيها مثل المصابيح فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « تلك الملائكة » : والشيطان ضد الملك وعدوه ، ولهذا : أمر القارىء أن يطلب بعد عدوه عنه حتى تحضر الملائكة فهذه وليمة لا تجتمع فيها الملائكة والشياطين .

● قال فى القرطبى : وهذا الأمر — أى بالاستعاذة — على الندب فى قول الجمهور ، وحكى النقاش عن عطاء : أن الاستعاذة واجبة فى صدر كل قراءة فى غير الصلاة ، واختلفوا فيه فى الصلاة وكان ابن سيرين والنخعى وقوم يتعوذون فى الصلاة فى كل ركعة ، ويمتثلون أمر الله فى الاستعاذة على العموم ، وأبو حنيفة والشافعى يتعوذان فى الركعة الأولى من الصلاة ويريان قراءة الصلاة كلها كقراءة واحدة ، ومالك : لا يرى التعوذ فى الصلاة المفروضة ويراه فى قيام رمضان .

وقد أجمع العلماء على أن التعوذ ليس من القرآن ولا آية منه ، وهو قول القارىء : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وهذا اللفظ هو الذى عليه الجمهور من العلماء فى التعوذ لأنه لفظ كتاب الله تعالى : وروى عن ابن مسعود أنه قال : قلت : اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : « **يا ابن أم عبد : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، هكذا أقرأنى جبريل عن اللوح عن القلم** » .

● وعند النوم يندب التعوذ : ففى مسند الامام أحمد عن محمد بن اسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات نقولها عند النوم من الفزع :

(بسم الله اعوذ بكلمات التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون) قال : وكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيرا لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها فى عنقه .

ورواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن .

● وعند الأرق : أى عندما يصاب الانسان بالأرق ، فقد ورد عن سفيان عن أيوب عن محمد بن يحيى بن حبان أن خالد بن الوليد أصابه أرق

فشكا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فأمره أن يتعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون .

رواه ابن السنى .

● وعند الغضب : فقد روى مسلم عن سليمان بن صرد قال : استب رجلان عند النبى صلى الله عليه وسلم فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه وتنتفخ أوداجه ، فنظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : **((انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم))** : فقام الى الرجل رجل سمع النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هل تدرى ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفا ؟ قال : **((انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم))** فقال له الرجل : أمجنونا ترانى !..

أخرجه البخارى أيضا .

● وعندما يحاول الشيطان أن يحول بينك وبين صلاتك وقراءتك : فقد روى مسلم أيضا عن عثمان بن أبى العاصى الثقفى : أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يلبسها على ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((ذاك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا))** قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى .

● واذا سافرت فأقبل عليك الليل : فقد روى أبو داود عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر فأقبل عليه الليل قال : **((يا أرض ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ومن شر ما خلق فيك ومن شر ما يدب عليك ومن أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد))** .

● واذا نزلت منزلا : فقد روت خولة بنت حكيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **((من نزل منزلا ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق : لم يضره شىء حتى يرتحل))** . اخرجه فى الموطأ ومسلم والترمذى وقال : حديث حسن غريب صحيح .

● **((واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم))**(١) : اى اذا وسوس لك الشيطان ، فاستعذ بالله ، اى : اطلب النجاة من ذلك بالله .

---

(١) الأعراف : (الآية ٢٠٠) .

وقال فى القرطبى : النزغ ، والنغز ، والهمز ، والوسوسة سواء ، قال تعالى : (**وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين**) وقال : (**من شر الوسواس الخناس**) .

وأصل النزغ الفساد ، يقال : نزغ بيننا ، اى أفسد . ومنه قوله تعالى : (.. **نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى**) : اى أفسد . وقيل : النزغ الاغواء والاغراء ، والمعنى متقارب .

ثم يقول القرطبى : ونظير هذه الآية ما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**يأتى الشيطان أحدكم فيقول له : من خلق كذا وكذا حتى يقول له : من خلق ربك ، فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته**)) .

وفيه عن عبد الله قال : سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال : ((**تلك محض الايمان**)) .

وفى حديث أبى هريرة : ((**ذلك صريح الايمان**)) : والصريح الخالص . ثم يقول :

وهذا ليس على ظاهره ، اذ لا يصح أن تكون الوسوسة نفسها هى الايمان ، لأن الايمان اليقين ، وانما الاشارة الى ما وجدوه من الخوف من الله تعالى أن يعاقبوا على ما وقع فى أنفسهم ، فكأنه قال : جزعكم من هذا هو محض الايمان وخالصه ، لصحة ايمانكم وعلمكم بفسادها : فسمى الوسوسة ايمانا لما كان دفعها والاعراض عنها والرد لهـــا وعدم قبولها والجزع منها صادرا عن الايمان .

وأما أمره بالاستعاذة فلكون تلك الوساوس من آثار الشـــيطان ، وأما الأمر بالانتهاء فعن الركون اليها والالتفاف نحوها : فمن كان صحيح الايمان واستعمل ما أمره به ربه نفعه وانتفع به ، وأما من خالجته الشبهة وغلب عليه الحس ولم يقدر على الانفكاك عنها فلابد من مشافهته بالدليل العقلى ، كما قال صلى الله عليه وسلم للذى خالطته شبهة الابل الجرب حين قال النبى صلى الله عليه وسلم : ((**لا عدوى**)) وقال أعرابى : فما بال الابل تكون فى الرمل كأنها الظباء فاذا دخل فيها البعير الأجرب أجربها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ((**فمن أعدى الأول**)) فاستأصل الشبهة من أصلها .

فلما يئس الشيطان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بالاغراء والاضلال أخذ يشوش عليهم أوقاتهم بتلك الألقيات والوساوس الترهات ، فنفرت عنها قلوبهم وعظم عليهم وقوعها عندها فجاءوا ـــ كما فى الصحيح ـــ

فقالوا : يا رسول الله : انا نجد فى انفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، قال : « **أوقد وجدتموه ؟** » قالوا : نعم . قال : « **ذلك صريح الايمان رغما للشيطان حسب ما نطق به القرآن** » فى قوله : (**ان عبادى ليس لك عليهم سلطان**) .

فالخواطر التى ليست بمستقرة ولا اجتلبتها الشبهة فهى التى تدفع بالاعراض عنها ، وعلى مثلها يطلق اسم الوسوسة .

● واذا أردت أن تدخل الخلاء ـ أى المكان المعد للتبول فيه ـ فقد ورد فى ذلك أحاديث منها حديث أنس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يدخل الخلاء قال :

« **اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث** » .

أخرجه البخارى فى الأدب المفرد .

أما فى غير هذه الأماكن المعدة لهذا ، كالصحراء فانه يقال هذا عند تشمير الثياب .

والخبث : بضم الباء وقيل بتسكينها : جمع خبيث ، والمراد ذكور الشياطين .

والخبائث : جمع خبيثة ، والمراد اناث الشياطين .

●● واذا كانت الاستعاذة كما عرفت تعتبر حرزا أى حصنا من الشيطان الرجيم لأن معناها كما فى كلام العرب :

الاستجارة والتحيز الى الشىء على معنى الامتناع به من المكروه ، يقال عذت بفلان واستعذت به اى لجأت اليه وهو عياذى أى ملجئى ، فالعوذ الالتجاء الى الغير والتعلق به ، والعياذ لدفع الشر ، واللياذ لطلب الخير ..

● اذا كانت الاستعاذة كما وضح لك تعتبر حرزا من الشيطان الرجيم ، فهناك حرز آخر من هذا الشيطان ، الا ، وهو :

* * *

المعوِّذتان

وقد ورد فى فضلهما أحاديث كثيرة منها : ما رواه مسلم فى صحيحه من حديث قيس بن حازم عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط : أعوذ برب الفلق ، أعوذ برب الناس))** .

وفى لفظ آخر عن رواية محمد بن ابراهيم التيمى ، عن عقبة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : **((ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون ؟))** قلت : بلى . قال : **((قل أعوذ برب الفلق))** و : **((قل أعوذ برب الناس))** .

وفى الترمذى : حدثنا قتيبة أخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن حبيب عن على بن رباح عن عقبة بن عامر قال : **((أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقرأ بالمعوذتين فى دبر كل صلاة))** .

وقال هذا حديث غريب .

وفى الترمذى والنسائى وسنن أبى داود عن عبد الله بن حبيب قال : **((خرجنا فى ليلة مطر وظلمة نطلب النبى صلى الله عليه وسلم ليصلى لنا فأدركناه فقال : قل . فلم أقل شيئا ، ثم قال : قل . فلم أقل شيئا ، ثم قال : قل . قلت : يا رسول الله ، ما أقول ؟ قال : قل : (هو الله أحد) ، والمعوذتين حين تمسى ، وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شر))** .

قال الترمذى حديث حسن صحيح .

وفى الترمذى أيضا من حديث الجريرى عن أبى هريرة عن أبى سعيد قال : **((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان ، وعين الانسان حتى نزلت المعوذتان ، فلما نزلتا أخذهما وترك ما سواهما))** .

قال وفى الباب عن أنس ، وهذا حديث غريب .

وفى الصحيحين عن عائشة : **((أن النبى صلى الله عليه وسلم**

كان اذا اوى الى فراشه نفث فى كفيه بقل : هو الله احد ، والمعوذتين جميعا ، ثم : يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده » .

قالت عائشة : « **فلما اشتكى كان يأمرنى ان افعل ذلك به** » .

قلت : هكذا رواه يونس عن الزهرى عن عروة عن عائشة . ذكره البخـــارى .

ورواه مالك عن الزهرى عن عروة عنها : « **أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عليه بيده رجاء بركتها** » .

وكذلك قال معمر عن الزهرى عن عروة عنها : « **أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه فى مرضه الذى قبض فيه بالمعوذات ، فلما ثقل كنت انا أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركته** » .

فسألت ابن شهاب : « كيف كان ينفث ؟ قال : ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه » .

ذكره البخـــارى أيضا .

●● فاذا كنت ستستعيذ ـــ فى المعوذتين ـــ بالله تعالى (**من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس ...**) .

● فمن وســـوسته : ما روى فى الصحيحين من حـــديث الزهرى عن على بن الحسين عن صفية بنت حيى قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفا فأتيته فأزوره ليلا ، فحدثته ثم قمت فانقلبت ، فقام معى ليقلبنى(١) ، وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد . فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبى صلى الله عليه وسلم أسرعا . فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« **على رسلكما انها صفية بنت حيى** » فقالا : سبحان الله ، يا رسول الله فقال : « **ان الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم ، وانى خشيت ان يقذف فى قلوبكما سوءا ـــ أو قال شيئا** » .

وفى الصحيح عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اذا نودى بالصـــلاة أدبر الشيطان**

---

(١) أى ليردنى الى بيتى .

وله ضراط . فاذا قضى أقبل ، فاذا ثوب بها أدبر ، فاذا قضى أقبل ، حتى يخطر بين الانسان وقلبه فيقول : اذكر كذا ، اذكر كذا — لما لم يكن يذكر حتى لا يدرى ثلاثا صلى أم أربعا ؟ فاذا لم يدر ثلاثا صلى أم أربعا سجد سجدتى السهو)) .

●● ومن وسوسته : أن يشتغل القلب بحديثه حتى ينسيه ما يريد أن يفعله ، ولهذا يضاف النسيان اليه اضافته الى سببه . قال تعالى حكاية عن صاحب موسى : **(وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) .**

... الى أن يقول ابن القيم(١) :

فأصل كل معصية وبلاء انما هو الوسوسة .. ثم يقول : فلهذا وصفه بها لتكون الاستعاذة من شرها أهم من كل مستعاذ منه ، والا فشره بغير الوسوسة حاصل أيضا .

ثم يقول :

● فمن شره انه لص سارق لأموال الناس فكل طعام أو شراب لم يذكر اسم الله عليه فله فيه حظ بالسرقة والخطف ، وكذلك يبيت فى البيت اذا لم يذكر فيه اسم الله ، فيأكل طعام الانس بغير اذنهم ، ويبيت فى بيوتهم بغير أمرهم فيدخل سارقا ويخرج مغيرا ، ويدخل على عوراتهم ..

وقد ورد فى حديث رواه مسلم : عن جابر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

((اذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان لأصحابه :

لا مبيت لكم ولا عشاء ، واذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله ، قال الشيطان :

أدركتم المبيت ، واذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء)) .

وعن أمية بن مخشى الصحابى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يأكل فلم يسم الله تعالى حتى لم يبق

---

(١) فى كتاب تفسير المعوذتين .

من طعامه الا لقمة فلما رفعها الى فيه قال : بسم الله أوله وآخره فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : « **ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله استقاء ما فى بطنه** » .

رواه النسائى وابو داود .

● ومن شره : انه اذا نام العبد عقد على رأسه عقدا تمنعه من اليقظة كما فى صحيح البخارى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« **يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة مكانها ، عليك ليل طويل فارقد . فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فان توضأ انحلت عقدة ، فان صلى انحلت عقده كلها ، فاصبح نشيطا طيب النفس ، والا اصبح خبيث النفس كسلان** » .

● ومن شره : انه يبول فى اذن العبد حتى ينام الى الصباح ، كما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ذكر عنده رجل نام ليله حتى أصبح ، فقال : « **ذاك رجل بال الشيطان فى اذنيه** » او قال : « **فى اذنه** » .

رواه البخـــارى .

● ومن شره : أنه قعد لابن آدم بطرق الخير كلها ، فما من طريق من طرق الخير الا والشيطان مرصد عليه يمنعه بجهده أن يسلكه ، فان خالفه وسلكه ثبطه فيه وعوقه وشوش عليه بالمعارضات والقواطع ، فان عمله وفرغ منه قيض له ما يبطل اثره ويرده على حافرته : ويكفى من شره أنه اقسم بالله ليقعدن لبنى آدم صراطه المستقيم ، واقسم ليأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم .

* * *

إضافات

وقد ورد عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال :

ان الشيطان طاف بأهل مجلس الذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا .

وورد عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى عن أبى موسى قال :

اذا أصبح ابليس بث جنوده فى الأرض فيقول : من أضل مسلما البسته التاج ، فيقول له القائل : لم أزل بفلان حتى طلق امرأته ، قال يوشك أن يتزوج ، ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى عق ، قال : يوشك أن يبر ، ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى زنى ، قال : أنت ، ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى شرب الخمر ، قال : أنت ، قال : ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى قتل ، فيقول : أنت أنت .

● ومن شره : أنه أعمل المكيدة وبالغ فى الحيلة ، حتى أخرج آدم — كما عرفت قبل ذلك — من الجنة ، ثم لم يكفه ذلك — كما يقول ابن القيم — حتى استقطع من أولاده شرطة للنار — من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فقد ورد فى حديث أبى سعيد الخدرى : قول الله لآدم : أخرج بعث النار . قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ... الحديث أخرجه البخارى .

ثم لم يكفه ذلك حتى أعمل الحيلة فى ابطال دعوة الله من الأرض ، وقصد أن تكون الدعوة له وأن يعبد هو من دون الله ، فهو يسعى بأقصى جهده على اطفاء نور الله ، وابطال دعوته ، واقامة دعوة الكفر والشرك ومحو التوحيد وأعلامه من الأرض .

● ويكفى من شره : أنه تصدى لابراهيم خليل الرحمن حتى رماه قومه بالمنجنيق فى النار ، فرد الله كيده عليه ، وجعل النار على خليله بردا وسلاما وتصدى للمسيح صلى الله عليه وسلم حتى أراد اليهود قتله وصلبه ، فرد الله كيده وصان المسيح ورفعه اليه .

وتصدى لزكريا ويحيى حتى قتلا .

واستشار فرعون حتى زين له الفســـاد العظيم فى الأرض ودعوى انه ربهم الأعلى .

● ثم يقول بعـــد ذلك(١) : ولا يمكن حصر أجناس شره ، فضـــلا عن آحادها ، اذ كل شر فى العالم فهو السبب فيه ، ولكن ينحصر شره فى ستة أجناس لا يزال بابن آدم حتى ينال منه واحدا منها أو أكثر :

● الشر الأول : شر الكفر والشرك ، ومعاداة الله ورسوله ، فاذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه ، واستراح من تعبه معه ، وهو أول ما يريده من العبد ، فلا يزال به حتى يناله منه فاذا نال ذلك صيره من جنده وعسكره ، واستنابه على أمثاله وأشكاله ، فصار من دعاة ابليس ونوابه :

فان ينس منه من ذلك وكان ممن سبق له الاسلام فى بطن أمه نقله الى :

● المرتبة الثانية من الشر : وهى البدعة : وقد فصلها فى (المدارج) بقوله : أما باعتقاد خلاف الحق الذى أرسل الله به رسوله وانزل به كتابه ، واما بالتعبد بما لم يأذن به الله من الأوضاع والرسوم المحدثة فى الدين ، وهى — أى البدعة — على هذا الأساس أحب الى الشيطان من الفسوق والمعاصى ، لأن ضررها فى نفس الدين ، وهو ضرر متعد ، وهى مخالفة لدعوة الرسل ، ودعاء الى خلاف ما جاءوا به ، وهى باب الكفر والشرك فاذا نال منه البدعة وجعله من أهلها ، بقى أيضا نائبه وداعيا من دعاته .

فان أعجزه من هذه المرتبة وكان العبد ممن سبقت له من الله موهبة السنة ومعاداة أهل البدع والضلال نقله الى :

● المرتبة الثالثة من الشر : وهى الكبائر على اختـــلاف أنواعها ، فهو أشد حرصا على أن يوقعه فيها : (زاد فى المدارج : وربما أجرى على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلق وهى قوله : لا يضر مع التوحيد ذنب ، كما لا ينفع مع الشرك حسنة) والعياذ بالله .

ولا سيما ان كان عالما متبوعا فهو حريص على ذلك لينفر الناس عنه ، ثم يشيع من ذنوبه ومعاصيه فى الناس ، ويستثيب منهم من يشيعها ويذيعها تدينا وتقربا بزعمه الى الله تعالى ، وهو نائب ابليس ولا يشعر ، و : **« ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا**

---

(١) فى كتاب تفسير المعوذتين (باختصار وتصرف) .

والآخرة »(١) ، هذا اذا أحبوا اشاعتها واذاعتها ، فكيف اذا تولوا هم اشاعتها واذاعتها ، لا نصيحة منهم ولكن طاعة لابليس ونيابة عنه ؟..

فان عجز الشيطان عن هذه المرتبة نقله الى :

● المرتبة الرابعة : وهى الصغائر التى اذا اجتمعت فربما أهلكت صاحبها ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « **اياكم ومحقرات الذنوب ، فان مثل ذلك مثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض** » وذكر حديثا معناه أن كل واحد منهم جاء بعود حطب ، حتى أوقدوا نارا عظيمة فطبخوا واشتووا . ولا يزال يسهل عليه أمر الصغائر حتى يستهين بها فيكون صاحب الكبيرة الخائف منها أحسن حالا منه .

فان أعجزه العبد من هذه المرتبة نقله الى :

● المرتبة الخامسة : وهى اشغاله بالمباحات التى لا ثواب فيها ولا عقاب ، بل عاقبتها فوق الثواب الذى ضاع عليه باشتغاله بها .

فان أعجزه العبد من هذه المرتبة ، وكان حافظا لوقته شحيحا به ، يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها وما يقابلها من النعيم والعذاب نقله الى :

● المرتبة السادسة : وهى أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليزيح عنه الفضيلة ويفوته ثواب العمل الفاضل ، فيأمره بفعل الخير المفضول ويحضه عليه ويحسنه له اذا تضمن ذلك ما هو أفضل وأعلى منه ...

فاذا أعجزه العبد من هذه المراتب الست وأعيى عليه ، سلط عليه حزبه من الانس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتبديع والتحذير منه ، وقصد اخماله واطفاءه ليشوش عليه قلبه ، ويشغل حربه فكره وليمنع الناس من الانتفاع به ، فيبقى سعيه فى تسليط المبطلين من شياطين الانس والجن عليه ، لا يفتر ولا ينى .

فحينئذ يلبس المؤمن لأمة الحرب (أى درعها) ولا يضعها عنه الى الموت — ومتى وضعها أسر أو أصيب — فلا يزال فى جهاد حتى يلقى الله .

* * *

(١) النـور : (من الآية ١٩) .

الحِرزُ الثالث

وهو : قراءة آية الكرسى ، وهى :

﴿ اللهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١) .

ففى الصحيح من حديث محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال : وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ، فأتى آت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال انى محتاج وعلى عيال وبى حاجة شديدة فخليت عنه فأصبحت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ فقلت : يا رسول الله شكا حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله ، فقال : أما انه قد كذبك وسيعود ، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فرصدته فجاء يحثو من الطعام فقلت : لأرفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دعنى فانى محتاج وعلى عيال لا أعود فرحمته وخليت سبيله فأصبحت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة فقلت : يا رسول الله شكا حاجة وعيالا فرحمته وخليت سبيله ، فقال : انه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهـذا آخر ثلاث انك تزعم أنك لا تعود ثم تعود ، فقال : دعنى فانى أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت : ما هن ؟ قال : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى ، فانه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله فأصبحت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما فعل أسيرك البارحة ؟ فقلت يا رسول الله زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها

---

(١) آية الكرسى بسورة البقرة رقم ٢٥٥ .

فخليت سبيله ، فقال : ما هى ؟ فقلت : قال لى : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية : الله لا اله الا هو الحى القيوم وقال لى : لا يزال عليك من الله حافظ ولن يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما انه قد صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب من ثلاث يا أبا هريرة ؟ قلت : لا . قال : ذاك شيطان) .

رواه البخـــارى .

* * *

الحِرز الرابع

وهو : قراءة سورة البقرة ، ففى الصحيح من حديث سهيل عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تجعلوا بيوتكم قبورا وان البيت الذى تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان » .

* * *

الحِرز الخامس

وهو : خاتمة سورة البقرة(١) ، فقد ثبت فى الصحيح من حديث أبى مسعود الأنصارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه** » اى : (**كفتاه من شر ما يؤذيه**) ، وقيل : « **كفتاه من قيام الليل** » : كما فى الوابل الصيب .

وفى الترمذى عن النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **ان الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق (لفظ الترمذى : السموات والأرض) بألفى عام ، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ، فلا يقرآن فى دار ثلاث ليال فيقربهما الشيطان** » .

---

(١) البقرة : (الآية ٢٨٥ ، ٢٨٦) .

الحِرزُ السادس

وهو : أول سورة حم المؤمن(١) الى قوله : « **اليه المصير** » مع آية الكرسى ، ففى الترمذى من حديث عبد الرحمن بن أبى مليكة عن زرارة بن مصعب عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**من قرأ حم المؤمن الى « اليه المصير » وآية الكرسى حين يصبح : حفظ بها حتى يمسى ، ومن قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح**) .

الحِرزُ السابع

وهو : (**لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير**) : مائة مرة .

ففى الصحيحين من حديث سمى مولى أبى بكر عن أبى صالح عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، فى يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر من ذلك**) .

الحِرزُ الثامن

وهو من أنفع الحروز من الشيطان : كثرة ذكر الله عز وجل : ففى الترمذى من حديث الاشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) وهى سورة غافر : (والمراد من الآية ١ — ٣) .

قال : أن الله امر يحى بن زكريا بخمس كلمات ان يعمل بها ويامر بنى اسرائيل أن يعملوا بها ، وانه كاد أن يبطىء بها ، فقال عيسى عليه السلام : ان الله امرك بخمس كلمات لتعمل بها ، وتامر بنى اسرائيل ان يعملوا بها ، فاما أن تأمرهم واما ان آمرهم . قال يحيى : أخشى ان سبقتنى بها أن يخسف بى أو اعذب . فجمع الناس فى بيت المقدس ، فامتلأ (فى نسخة المسجد) وقعدوا على الشرف ، فقال : ان الله امرنى بخمس كلمات أن أعمل بهن ، وآمركم أن تعملوا بهن .

● اولهن : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا : وان مثل من اشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق(١) فقال : هذه دارى وهذا عملى ، فاعمل وأد الى فكان يعمل ويؤدى الى غير سيده ، فايكم يرضى أن يكون عبده كذلك ؟.

● وان الله أمركم بالصلاة : فاذا صليتم فلا تلتفتوا ، فان الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته ما لم يلتفت .

● وآمركم بالصيام : فان مثل ذلك كمثل رجل فى عصابة(٢) معه صرة فيها مسك ، فكلهم يعجب أو يعجبها ريحها وان ريح الصائم اطيب عند الله من ريح المسك .

● وآمركم بالصدقة : فان مثل ذلك كمثل رجل اسره العدو ، فاوثقوا يده الى عنقه ، وقدموه ليضربوا عنقه . فقال : أنا افديه منكم بالقليل والكثير ، ففدى نفسه منهم .

● وآمركم أن تذكروا الله : فان مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى اثره سراعا حتى أتى على حصن حصين فاحرز نفسه منهم ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله) .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : وانا آمركم بخمس ، الله امرنى بهن : السمع ، والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة : فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ، الا أن يراجع ، ومن أدعى دعوى الجاهلية فانه من جثى جهنم) فقال رجل : وان صلى وصام ؟ قال : (وان صلى وصام ، فادعوا بدعوى الله الذى سماكم المسلمين المؤمنين ، عباد الله) . قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب صحيح . وقال البخارى : الحارث الأشعرى له صحبة ، وله غير هذا الحديث .

---

(١) الورق بكسر الراء : أى الفضة .

(٢) العصابة بكسر العين : أى الجماعة من الناس .

فقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم : أن العبد لا يحرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله .

● وفى حديث آخر جاء فيه ما يطابق لحديث الأشعرى ، وهو حديث سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة بن جندب ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وكنا فى صفة بالمدينة ، فقام علينا فقال :

(انى رايت البارحة عجبا : رايت رجلا من أمتى أتاه ملك الموت ليقبض روحه ، فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه .

ورايت رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر فجاء وضوؤه فاستنقذه من ذلك .

ورايت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله عز وجل فطرد الشيطان عنه .....) الحديث وهو حسن جدا .

● وفى الترمذى عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(من قال ــ يعنى اذا خرج من بيته ــ بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله . يقال له : كفيت وهديت ووقيت وتنحى عنه الشيطان ، فيقول لشيطان آخر : كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى ؟) .**

رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال : حديث حسن .

● وذكر سفيان عن أبى الزبير عن عبد الله بن ضمرة عن كعب قال : اذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله ، قال الملك هديت ، واذا قال : توكلت على الله ، قال الملك : كفيت ، واذا قال : لا حول ولا قوة الا بالله ، قال الملك : حفظت .

فيقول الشياطين بعضهم لبعض : ارجعوا ، ليس لكم عليه سبيل ، كيف لكم بمن كفى وهدى وحفظ ؟.

● وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(اذا اوى الانسان الى فراشه ابتدره ملك وشيطان ، فيقول الملك : اختم بخير ، ويقول الشيطان : اختم بشر فاذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه ــ يعنى النوم ــ طرد الملك الشيطان وبات يكلاه(١) ، فاذا استيقظ ابتدره ملك وشيطان ، فيقول الملك : افتح بخير ، ويقول الشيطان : افتح بشر ، فان قال : الحمد لله الذى أحيانا نفسى بعد**

---

(١) اى يحفظه .

موتها ولم يمتها فى منامها ، الحمد لله الذى يمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى اجل مسمى ، الحمد لله الذى يمسك السماوات والأرض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده ، الحمد لله الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه . طرد الملك الشيطان وظل يكلاه) .

● وفى الصحيحين من حديث سالم بن أبى الجعد عن كريب عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(أما ان أحدكم اذا أتى أهله(١) قال : بسم الله . اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فيولد بينهما ولد ، لا يضره الشيطان ابدا) .**

● وذكر الحافظ ابو موسى من حديث أبى رجاء عن أبى بكر الصديق قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(استكثروا من لا اله الا الله والاستغفار ، فان الشيطان قال : قد أهلكتهم بالذنوب وأهلكونى بقول لا اله الا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك منهم أهلكتهم بالأهواء حتى يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون) .**

رواه الحافظ ابو يعلى الموصلى .

وقال مجاهد : ما من شىء أكسر لظهر ابليس من لا اله الا الله .

الحِرزُ التاسع

وهو : الوضوء والصلاة ، وهما من أعظم ما يتحرز به منه — أى من الشيطان — ولا سيما عند توارد قوة الغضب والشهوة فانها نار تغلى فى قلب ابن آدم . كما فى الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : **(ألا وان الغضب جمرة فى قلب ابن آدم ، أما رأيتم الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه ؟ فمن أحس بشىء من ذلك فليلصق بالأرض) .**

● وعن عطية بن عروة السعدى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار ، وانما النار تطفأ بالماء ، فاذا غضب أحدكم فليتوضأ) .**

رواه أبو داود .

---

(١) أى جامع زوجته .

● وفى حديث آخر : أمر النبى صلى الله عليه وسلم من غضب ان كان قائما أن يجلس ، وان كان جالسا أن يضطجع(١) .

* * *

الحِرزُ العاشِر

وهو : امساك فضول(٢) النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس : فان الشيطان انما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هـذه الأبواب الأربعـة :

فان فضول النظر يدعو الى الاستحسان ، ووقوع صوره المنظور اليه فى القلب والاشتغال به ، والفكرة فى الظفر به .

● فمبدأ الفتنة من فضول النظر ، كما فى المسند عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : **(النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن غض بصره لله أورثه الله حلاوة يجدها فى قلبه الى يوم يلقاه)** .

أو كما قال صلى الله عليه وسلم . فالحوادث العظام انما كلها من فضـول النظر .

فكم نظرة أعقبت حسرات لا حسرة .

وفى هذا يقول الشـاعر :

كل الحـوادث مبـداها من النظـر
ومعـظم النـار من مسـتصغر الشرر
كـم نظـرة فتـكت فى قلب صـاحبها
فتـك السـهام بـلا قـوس ولا وتر

● وأما فضول الكلام فانها تفتح للعبد أبوابا من الشر كلهـا مداخل للشـيطان .

---

(١) كما جاء فى الوابل الصيب من الكلم الطيب .
(٢) اى الزائد .

فامساك فضول الكلام يسد هذه الأبواب كلها ، وكم من حرب جرتها كلمة واحدة .

ففى الترمذى أن رجلا من الأنصار توفى ، فقال بعض الصحابة : طوبى له . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : **(فما يدريك ؟ فلعله تكلم بما لا يعنيه ، أو بخل بما لا ينقصه)** .

وفى خطبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **(طوبى لمن انفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ..)** .

● وأما فضول الطعام فهو داع الى أنواع كثيرة من الشر : فانه يحرك الجوارح الى المعاصى ، ويثقلها عن الطاعات ، وحسبك بهذين شرا ، فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام ، وكم من طاعة حال دونها ، ومن وقى شر بطنه فقد وقى شرا عظيما ، والشيطان أعظم ما يتحكم من الانسان اذا ملأ بطنه من الطعام ولهذا جاء فى الحديث : **(ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع)** .

كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : **(ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه)** .

وكان لقمان الحكيم عليه السلام يقول لولده :

(يا بنى اذا امتلأت المعدة : نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة) .

● وأما فضول المخالطة : فهى الداء العضال الجالب لكل شر ، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة ، وكم زرعت من عداوة ، وكم غرست فى القلب من حزازات تزول الجبال الراسيات وهى فى القلوب لا تزول ، ففى فضول المخالطة خسارة الدنيا والآخرة ، وانما ينبغى للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة ويجعل الناس فيها أربعة أقسام متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينها دخل عليه الشر :

الأول : من مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه فى اليوم والليلة ، فاذا أخذ حاجة منه ترك المخالطة ، ثم اذا احتاج اليه خالطه هكذا على الدوام .

وهذا الضرب أعز من الكبريت الأحمر ، وهم العلماء بالله وأمره ، ومكايد عدوه ، وأمراض القلوب وأدويتها ، الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه ، فهذا الضرب فى مخالطتهم الربح كل الربح .

الثانى : من مخالطته كالدواء يحتاج اليه عند المرض ، فما دمت صحيحا فلا حاجة لك فى خلطته وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم فى مصلحة المعاش ، وقيام ما انت محتاج اليه من انواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للأدواء ونحوها ...

الثالث : وهم من مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه ، فمنهم من مخالطته كالداء العضال والمرض المزمن ، وهو من لا تربح عليه فى دين ولا دنيا ، ومع ذلك فلابد من أن تخسر عليه الدين والدنيا او احدهما : فهذا اذا تمكنت منك مخالطته واتصلت فهى مرض الموت المخوف ، ومنهم من مخالطته كوجع الضرس يشتد ضربه عليك ، فاذا فارقك سكن الألم ، ومنهم من مخالطته حمى الروح ، وهو الثقيل البغيض العقل ، الذى لا يحسن أن يتكلم فيفيدك ، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك ، ولا يعرف نفسه فيضعها فى منزلتها ، بل ان تكلم فكلامه كالعصى تنزل على قلوب السامعين ، مع اعجابه بكلامه وفرحه به ...

الرابع : من مخالطته الهلك (**لغة فى الهلاك**) كله ومخالطته بمنزلة اكل السم ، فان اتفق لآكله ترياق ، والا فأحسن الله اليه العزاء ، وما اكثر هذا الضرب فى الناس ، لا كثرهم الله ! وهم أهل البدع والضلالة ، الصادون عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الداعون الى خلافها ، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ، فيجعلون البدعة سنة ، والسنة بدعة ، والمعروف منكرا ، والمنكر معروفا ..

ان جردت التوحيد بينهم قالوا : تنقصت جناب الأولياء والصالحين ، وان جردت المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : أهدرت الأئمة المتبوعين ، وان وصفت الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير غلو ولا تقصير قالوا : أنت من المشبهين ، وان أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف ، ونهيت عما نهى الله عنه ورسوله من المنكر قالوا : أنت من المفتنين ، وان اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا : أنت من أهل البدع المضلين ، وان انقطعت الى الله تعالى وخليت بينهم وبين جيفة الدنيا قالوا : أنت من المبلسين ، وان تركت ما أنت عليه واتبعت أهواءهم فأنت عند الله من الخاسرين ، وعندهم من المنافقين .

فالحزم كل الحزم التماس مرضاة الله تعالى ورسوله باغضابهم ، وان لا تشتغل بأعتابهم ولا باستعتابهم ، ولا تبالى بذمهم ولا بغضهم ، فانه عين كمالك ، كما قال :

واذا أتتك مذمتى من ناقص
فهى الشهادة لى بأنى فاضل

وقال آخر :

وقـــد زادنى حبـــا لنفسى اننى
بغيض الى كل امرىء غـــير طـــائل

●● ثم يقول ابن القيم بعد انتهائه من كلامه هذا بتصرف وايجاز(١) :

فمن كان بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التى هى اصلا بلاء العالم ، وهى : فضول النظر والكلام والطعـــام والمخالطة واستعمل ما ذكرناه من الأسباب التسعة التى تحرزه من الشيطان ، فقد اخذ بنصيبه من التوفيق ، وسد على نفسه ابواب جهنم ، وفتح عليها ابواب الرحمة ، وانغمر ظاهره وباطنه ، ويوشك ان يحمد عند الممات عاقبة هذا الدواء ، فعند الممات يحمد القوم التقى ، وفى الصباح يحمد القوم السرى(٢) ، والله الموفق لا رب غيره ، ولا اله سواه .

●● وفى كتاب احيـــاء علوم الدين(٣) للامام الغزالى رحمه الله ذكر بعض مداخل الشيطان التى يتسرب الى قلوب اعدائه منها حتى يهلكهم ويجعلهم فى مهب رياحه الشيطانية وحتى يكونوا بعد ذلك معه فى الآخرة من الخاسرين .

وقد رأيت واتماما للفائدة ان اسوق اليك هذه المداخل بايجاز حتى تكون بعد ذلك من هؤلاء الذين سيوصدون فى وجهه هذه المداخل حتى لا يكون له مكان فى قلوبهم .

● وحسبى أولا أن اقرأ معك هذا التقديم الذى يقول فيه رحمه الله :

اعلم أن مثال القلب مثال حصن ، والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ، فيملكه ويستولى عليه ، ولا يقدر على حفظ الحصن من العـــدو الا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدرى أبوابه ، فحماية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف ، وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا واجب ، ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله ، فصارت معرفة مداخله واجبة .

ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد ، وهى كثيرة ، ولكنا نشير الى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب ، التى لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان .

● ثم يقول بعد ذلك أثابه الله :

---

(١) واضافات موضوعية فى بعض الأبواب من كتابه تفسير المعوذتين .
(٢) المراد : اى الغنى .
(٣) الجزء الثـــامن .

المداخل

● فمن أبوابه العظيمة : الغضب ، والشهوة ، فان الغضب هو غول العقل ، واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ، ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به ، كما يلعب الصبى بالكرة .

وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لابليس ، أرنى كيف تغلب ابن آدم ، فقال : آخذه عند الغضب وعند الهوى .

وحكى أن ابليس ظهر لراهب ، فقال له الراهب : أى أخلاق بنى آدم أعون لك ؟ قال : الحدة : فان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة .

وقيل : ان الشيطان يقول : كيف يغلبنى ابن آدم ، واذا رضى جئت حتى أكون فى قلبه ، واذا غضب طرت حتى أكون فى رأسه .

● ومن أبوابه العظيمة : الحسد ، والحرص ، فمهما كان العبد حريصا على كل شىء أعماه حرصه وأصمه ، اذ قال صلى الله عليه وسلم : « **حبك للشىء يعمى ويصم** »(١) ونور البصيرة هو الذى يعرف مداخل الشيطان ؛ فاذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهواته ، وان كان منكرا أو فاحشا .

● ومن أبوابه العظيمة : الشبع من الطعام ، وان كان حلالا صافيا ، فان الشبع يقوى الشهوات ، والشهوات أسلحة الشيطان .

فقد روى أن ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام ، فرأى عليه معاليق من كل شىء ، فقال له ابليس : ما هذه المعاليق ؟ قال : هذه الشهوات التى أصبت بها ابن آدم ، فقال : فهل لى فيها من شىء ؟ قال : ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر . قال : فهل غير ذلك ؟ قال : لا . قال : لله على أن لا أملأ بطنى من الطعام أبدا ، فقال ابليس : ولله على أن لا أنصح مسلما أبدا .

---

(١) رواه أبو داود من حديث أبى الدرداء باسناد ضعيف .

ويقال فى كثرة الأكل ست خصال مذمومة :

أولها : أن يذهب خوف الله من القلب .

ثانيها : أن يذهب رحمة الخلق من قلبه ، لأنه يظن أنهم كلهم شباع .

ثالثها : أنه يثقل عن الطاعة .

رابعها : أنه اذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة .

خامسها : أنه اذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع فى قلوب الناس .

سادسها : أن يهيج فيه الأمراض .

● ومن أبوابه : حب التزين من الأثاث والثياب والدار ، فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان ، باض فيه وفرخ ، فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار ، وتزيين سقوفها وحيطانها ، وتوسيع أبنيتها ، ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ، ويستسخره فيها طول عمره ، واذا أوقعه فى ذلك فقد استغنى أن يعود اليه ثانية ، فان بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال يؤديه من شىء الى شىء الى أن يسـاق اليه أجـله فيموت ، وهو فى سبيل الشيطان واتباع الهوى ، ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر ، نعوذ بالله منه .

● ومن أبوابه العظيمة : الطمع فى الناس : لأنه اذا غلب الطمع على القلب ، لم يزل الشيطان يحبب اليه التصنع والتزين لمن طمع فيه ، بانواع الرياء ، والتلبيس ، حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر فى حيلة التردد والتحبب اليه ، ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك ، وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه ، والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

فقد روى صفوان بن سليم : أن ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة ، فقال له : يا ابن حنظلة ، احفظ عنى شيئا أعلمك به ، فقال : لا حاجة لى به ، قال : انظر فان كان خيرا أخذت ، وان كان شرا رددت . يا ابن حنظلة ، لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبـة ، وانظر كيف تكون اذا غضبت ، فانى أملك اذا غضبت .

● ومن أبوابه العظيمـة : العجـلة وترك التثبت فى الأمـور ، ففى الحديث الشريف قال صلى الله عليه وسلم : « **العجلة من الشيطان والتانى من الله تعالى** » . وفى القرآن الكريم يقول تعالى : (**خلق الانسان من عجل**) ويقول :

« **وكان الانسان عجولا** » . وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (**ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه**) وهذا لأن الأعمال ينبغى أن تكون بعد التبصرة والمعرفة ، والتبصرة تحتاج الى تأمل وتمهل ، والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدرى .

وقد قرأت عن أحد الصالحين أنه قال :

العجلة من الشيطان الا فى خمسة أشياء فانها من السنة :

اطعام الضيف اذا دخل .

وتجهيز الميت ، وتزويج البكر .

وقضاء الدين ، والتوبة من الذنب .

● ومن أبوابه العظيمة : البخل ، وخوف الفقر ، فان ذلك هو الذى يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الأليم ، وهو الموعود للمكانرين كما نطق به القرآن العزيز .

قال خيثمة بن عبد الرحمن : ان الشيطان يقول : ما غبنى ابن آدم غلبة فلن يغلبنى على ثلاث :

أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه ، وانفاقه فى غير حقه ، ومنعه من حقه .

وقال سفيان : ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر ، فاذا قبل ذلك منه أخذ فى الباطل ، ومنع من الحق ، وتكلم بالهوى ، وظن بربه ظن السوء .

ومن آفات البخل : الحرص على ملازمة الأسواق لجمع المال ، والأسواق هى معشش الشياطين .

● ومن أبوابه العظيمة : التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار : وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا ، فان الطعن فى الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة فى الطبع من الصفات السبعية فاذا خيل اليه الشيطان أن ذلك هو الحق ، وكان موافقا لطبعه ، غلبت حلاوته على قلبه ، فاشتغل به بكل همته ، وهو بذلك فرحان مسرور ، يظن أنه يسعى فى الدين ، وهو ساع فى اتباع الشياطين ...

● ومن عظيم حيل الشيطان : أن يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس فى المذاهب والخصومات .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه :

جلس قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ، ويفرق بينهم ، فلم يستطع .

فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيـــا ، فأفسد بينهم ، فقاموا يقتتلون ، وليس اياهم يريد ، فقام الذين يذكرون الله تعالى ، فاشتغلوا بهم ، يفصلون بينهم ، فتفرقوا عن مجلسهم ، وذلك مراد الشيطان منهم .

● ومن أبوابه : حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتجروا فيه ، على التفكر فى ذات الله تعالى وصفاته وفى أمور لا يبلغها حد عقولهم ، حتى يشككهم فى أصل الدين ، أو يخيل اليهم فى الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها ، يصير بها كافرا أو مبتدعا ، وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع فى صدره ، يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة ، وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله ، فأشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا فى عقل نفسه ، وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه ، وأكثرهم سؤالا من العلماء ...

● ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين : قال الله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم) ...**

الى أن يقول بعد ذلك رحمه الله :

فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه ، وفى هذا القدر ما ينبه على غيره ، فليس فى الآدمى صفة مذمومة الا وهى سلاح للشيطان ومدخل من مداخله .

ثم يقول :

فان قلت : فما العلاج فى دفع الشيطان ، وهل يكفى فى ذلك ذكر الله تعالى ، وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله ؟.

فاعلم أن علاج القلب فى ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة ...

●● فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، وكن على حذر مستمر من كيد هذا

الشيطان الرجيم ، وكما عرفت لابد وأن تسد جميع هذه المداخل الشيطانية بتطهير قلبك من الصفات المذمومة التى عرفت أنهـا سلاح للشيطان ، ومدخل من مداخله .

وحتى لا ينتصر الشيطان عليك لابد وان تكون كذلك وقبل ذلك محصنا بأهم حصن ، الا وهو :

حِصنُ العِـلم

فقد ورد فى حديث الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

● **« فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد »**(١) .

● وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال :

ان الشياطين قالوا لابليس : يا سيدنا انا نفرح بموت العالم ما لا نفرح بموت العابد ، والعالم لا نصيب منه والعابد نصيب منه . قال : انطلقوا ، فانطلقوا الى عابد وأتوه فى عبادته ، فقالوا : نريد ان نسألك فقال ابليس : هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا فى جوف بيضة ؟ فقال العابد : لا أدرى . فقال ابليس للشياطين : اتركوه كفر فى جوابه ؟.

ثم جاء الى رجل عالم فى حلقة يضاحك أصحابه فقالوا : انا نريد أن نسألك ، فقال : سل . فقال له ابليس : هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا فى جوف بيضة ؟ قال : نعم ، قال : كيف ؟ فقال العالم : يقول : (**كن فيكون**) .

فقال ابليس للشياطين : اتركوا ذلك ــ أى العابد ــ لا يعدو نفسه ، وهذا ــ أى العالم ــ يفسد على عالما كثيرا .

● وقال الشيخ عبد القادر الكيلانى رحمه الله :

اشتد على الحر فى بعض الأسفار يوما حتى كدت أن أموت عطشا فظللتنى سحابة سوداء وهب على منها هواء بارد حتى دار ريقى فى فمى

---

(١) رواه ابن عدى عنه مرفوعا .

وإذا بصوت ينادينى منها : يا عبد القادر أنا ربك ، فقلت له : أنت الله الذى لا اله الا هو ، قال : فنادانى ثانيـــا فقال : يا عبد القادر أنا ربك وقد أحللت لك ما حرمت عليك ، قال : فقلت له : كذبت بل أنت الشيطان ، قال : فتمزقت تلك السحابة وسمعت من ورائى قائلا :

يا عبد القادر ، نجوت منى بفقهك فى دينك ، لقد فتنت بهذه الحيلة قبلك سبعين رجلا .

وقيل للشيخ عبد القادر : كيف عرفت أنه الشيطان ؟ قال : بقوله : أحللت لك المحرمات ، لأنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحليل ولا تحريم .

فالشيخ عبد القادر ، ما أنقذ من مصيدة الشيطان الا ببركة العـــلم والفقه فى الدين .

●● ولهذا : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ((**من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده**))(١) .

* * *

●● ولا تتبـــع :

خطوات الشـــيطان

كما يأمرك الله تعالى بهذا مع المؤمنين فى قوله : (**يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنـــكر ...**) .

فالمعنى : كما يقول القرطبى : لا تسلكوا الطريق الذى يدعوكم اليها الشياطين .

والمعنى كما يقول قتادة : كل معصية فهى من خطوات الشيطان .

فاذا كان الله تعالى يحذرك من اتباع خطوات الشيطان الذى يأمر بالفحشاء والمنكر ، ويدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير :

---

(١) حديث صحيح .

فلابد اذن وأن نخالفه ونسلك طريقا غير طريقه وهو طريق الله الذى يأمرنا الله سبحانه وتعالى بأن نسلكه فى قوله : **(وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)** .

فقد ورد فى تفسير هذه الآية : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجلس ذات يوم مع بعض أصحابه فخط خطا مستقيما ثم خط بجواره عن يمينه وعن يساره خطوطا أخرى معوجة ثم بعد ذلك أشار الى الخط المستقيم وقال : هذا طريق الله فاتبعوه ، ثم أشار الى الخطوط الأخرى المعوجة فقال : وتلك طرق الشيطان فابتعدوا عنها . أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● وقد قرأت فى معنى قول ابليس لرب العزة سبحانه : **(فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم)** .

عن أبى سبرة عن ابن أبى الفاكه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **((ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الاسلام ، فقال له تسلم وتترك دينك ودين آبائك ، فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال : أتهاجر وتزر أرضك وسماءك وانما مثل المهاجر كالعرش فى الطول ، فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال ، فقال : تقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، وان وقعت به ناقته كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، وان قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة))**(١) .

● وقرأت عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((ان ابليس يبعث جنوده الى المسلمين فيقول : أيكم أضل رجلا البسته التاج ، فاذا رجعوا قال لبعضهم : ما صنعت ؟ قال : ألقيت بينه وبين أخيه عداوة ، قال : ما صنعت شيئا سوف يصالحه ، ثم يقول للآخر : فانت ما صنعت ؟ قال : ما زلت به حتى طلق امرأته ، قال : ما صنعت شيئا سوف يتزوج أخرى ، فقال للآخر : فأنت ما صنعت ؟ قال : ما زلت به حتى شرب الخمر ، قال : أنت أنت ، ثم يقول للآخر : فأنت ما صنعت ؟**

---

(١) رواه الامام أحمد فى مسنده .

قال : ما زلت به حتى زنى ، فيقول له : أنت أنت ، ثم يقول للآخر : فأنت ما صنعت ؟ قال : ما زلت به حتى قتل ، فيقول : أنت أنت »(١) .

● فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وكن بعيدا عن جميع مسالك الشيطان التى كما عرفت هى : المعاصى والذنوب .

وحذار أن تكون مرتكبا لكبيرة من :

الكبائر

حتى لا يشمت الشيطان فيك وحتى لا تكون بذلك من اكبر اعوانه .

ففى القرآن الكريم يقول سبحانه وتعالى :

● **« ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما »**(٢) .

وفى الحديث الشريف يقول حبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه :

● **« الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر »**(٣) .

●● والكبائر كما جمعها أبو طالب المكى رحمه الله هى :

● أربعة فى القلب ، وهى الشرك بالله تعالى ، والاصرار على معصية الله تعالى ، والقنوط من رحمة الله تعالى ، والأمن من مكر الله تعالى .

● وأربعة فى اللسان ، وهى : شهادة الزور ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، واليمين الغموس ، والسحر .

---

(١) رواه الامام أحمد فى مسنده .

(٢) النساء : (الآية ٣١) .

(٣) رواه مسلم .

● وثلاثة فى البطن ، وهى : شرب الخمر ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا وهو يعلم .

● واثنان فى الفرج ، وهما : الزنا ، واللواط .

● واثنان فى اليدين : وهما : القتل ، والسرقة .

● وواحدة فى الرجل ، وهى : الفرار من الزحف(١) .

● وواحدة فى جميع البدن ، وهى : عقوق الوالدين .

●● وأما الصغائر ، فمنها :

النظرة الأولى بشهوة ، والجلوس مع أجنبية ، واللعن ، وهجو المسلم ، والاشراف على بيوت الناس ، وهجران المسلم ، والضحك عمدا ، والجلوس قليلا مع فاسق ، والصوم فى يوم منهى عنه ، وكشف العورة بغير مرأى من الناس ، ووصال الصوم ، واستقبال القبلة واستدبارها بول أو غائط ، وسفر المرأة وحدها ، والبيع عند أذان الجمعة ، ولعب الشطرنج ، واشتراط الأجرة على الحديث والعلم ، والبول قائما وفى المغتسل والطرق ، والسدل فى الصلاة ، والأذان جنبا ، والاختصار فى الصلاة ، واشتمال الصماء فى الصلاة ، والعبث فى الصلاة ، والالتفات بالوجه فقط فى الصلاة (٢) وفعل ما ليس بعبادة فى المسجد ،ومباشرة الصائم زوجته (٣) وبعض الظن والأكل فوق الشبع ، والحسد ... الخ .

●● فهذه الصغائر اذا اجتنبت الكبائر لها مكفرات كثيرة .

كالصلوات الخمس ، والجمعة الى الجمعة ، ورمضان الى رمضان ، واسباغ الوضوء على المكاره (٤) ، وتعليم القرآن ، والصدقات ، والاستغفار ، والطواف بالبيت ، وما يصيب المسلم من الآلام والأمراض مهما قل شأنها ، وغير ذلك مما هو وارد فى كتب السنة الصحيحة .

●● وأما الكبائر التى وقفت عليها : فلا يكفرها الا التوبة ، أو فضل الله تعالى على من شاء من عباده لقوله تعالى :

---

(١) أى من ميدان الجهاد فى سبيل الله .

(٢) أما بجميع البدن فمفسدة للصلاة .

(٣) أى دون الجماع ويدخل فيه التقبيل وهو منهى عنه .

(٤) أى فى البرد وعند المرض .

● **« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »**(١) .

●● فلاحظ كل هذا أخا الاسلام واحرص على ضرورة التوبة الى الله تعالى اذا كنت قد وقعت فى كبيرة من الكبائر .

وثق تماما أن الله سبحانه وتعالى يرحب بتوبتك وحسبك هذا الحديث الصحيح المتفق عليه :

● **« لله أفرح بتوبة عبـــده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة »** . وفى رواية لمسلم :

● **« لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فيئس منها فأتى شجرة فاضجع فى ظلها وقد يئس من راحلته ، فبينما هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح »** .

وفى حديث آخر رواه مسلم :

● **« ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »** .

فالتوبة كما عرفت يا أخى لابد منهـــا حتى لا يفرح الشيطان فيك وحتى لا يعلن انتصاره عليك وهزيمتك أمامه .

وحسبك فى نهاية هذا العرض السريع هـــذا الحديث الشريف الذى يقول فيه حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم :

● **« اذا تاب العبد وحسنت توبته أوقدت الملائكة بينه وبين سماء الدنيا سبعين قنديلا من نور وينادى المنادى ألا ان فلانا ابن فلان قد اصطلح الليلة مع سيده فاذا سمع ابليس ذلك ذاب كما يذوب الملح فى الماء »** .

* * *

(١) النساء : (من الآية ٤٨) .

وختاماً :

اليك أخا الاسلام بعض التوجيهات المحمدية المتعلقة بالشيطان الرجيم :

● عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تأكلوا بالشمال فان الشيطان يأكل بالشمال »(١) .

● عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يأكلن أحدكم بشماله ولا يشربن بها فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها »(٢) .

● عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول :

« اذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فانما هى من الله تعالى فليحمد الله عليها وليحدث بها . وفى رواية : فلا يحدث بها الا من يحبه واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هى من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فانها لا تضره »(٣) .

● وعن أبى قتادة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« الرؤيا الصالحة ، وفى رواية : الرؤيا الحسنة من الله والحلم من الشيطان ، فمن رأى شيئا يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثا وليتعوذ من الشيطان فانها لا تضره »(٤) .

● عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) ، (٢) رواهما مسلم .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه البخارى ومسلم .

« إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فاذا عطس احدكم وحمد الله تعالى كان حقا على مسلم سمعه أن يقول له : يرحمك الله ، وأما التثاؤب فانما هو من الشيطان فاذا تثاءب احدكم فليرده ما استطاع فان احدكم اذا تثاءب ضحك منه الشيطان »(١) .

● عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اذا تثاءب احدكم فليمسك بيده على فيه فان الشيطان يدخل »(٢) .

● عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة الا قد استحوذ عليهم الشيطان : فعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية »(٣) .

● عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« اقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا بايدى اخوانكم ولا تذروا فرجات للشيطان ومن وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله »(٤) .

● عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يشر احدكم الى اخيه بالسلاح فانه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار »(٥) .

● عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه أبو داود باسناد حسن .
(٤) رواه أبو داود باسناد صحيح .
(٥) رواه البخارى ومسلم .

« لا تكن اول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرخ »(١) .

● عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« اذا صلى احدكم الى شيء يستره من الناس فأراد أحد ان يجتاز بين يديه فليدفعه فى نحره فان أبى فليقاتله ، فانما هو شيطان »(٢) .

● وفى لفظ آخر : **« اذا كان احدكم يصلى فلا يدع احدا يمر بين يديه وليدرأه ما استطاع ، فان أبى فليقاتله فانما هو شيطان »**(٣) .

● عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وان أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان »(٤) .

● عن عطية بن عروة السعدى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار ، وانما النار تطفأ بالماء ، فاذا غضب أحدكم فليتوضأ »(٥) .

● وعن أبى هريرة فى شرح السنة :

« اذا كان احدكم فى الفيء(٦) **فقلص عنه فليقم ، فانه مجلس لشيطان »** .

●● ولا ننس فى النهاية قول الله تعالى :

« يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما

---

(١) رواه البرزقانى فى صحيحه .

(٢) ، (٣) رواهما البخارى ومسلم واللفظ له وأبو داود وغيره .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه أبو داود .

(٦) أى فى الظل .

لباسهما ليريهما سوءاتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون »(١) .

● وكن مؤمنا : بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، حلوه ومره .

حتى لا يكون للشيطان وجنوده من الجن والانس ولاية عليك .

● والله أسأل أن يعيننا جميعا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، ويقينا بحفظه ورعايته شر الشياطين أجمعين .

آمين ... آمين ... آمين ...

المؤلف
طه عبد الله العفيفى
المعادى : مسجد الفتح
شارع ٩ ــ القاهرة

* * *

(١) الأعراف : (الآية ٢٧) .

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

الموضـــــوع	الصفحة
الاهـــداء	٥
تقـــديم	١١
مصادر الدراسة	١٣
من هو ابليس ؟	١٥
من هو الشيطان ؟	١٩
الفصـــل الأول :	
بداية الكيد الشيطانى	٢٥
قابيل وهابيـــل	٤٥
الشيطان فى سفينة نوح	٤٩
ابليس وموسى عليه السلام	٥١
ابليس والشـــجرة	٥٥
ابليس وعيسى عليه السلام	٥٧
الشيطان وبرصيصا العـــابد	٦١
خطبة ابليس	٦٥
الفصـــل الثـــانى :	
الرحمـــة المهـــداة	٧٥
صـــور من مكايد الشيطان	٧٦
الاســـتعاذة	٨٥
المعوذتان	٩١
الحرز الثـــالث	٩٩
الحرز الرابع	١٠٠

الموضـــــوع	الصفحة
الحرز الخامس	١٠٠
الحرز السادس	١٠١
الحرز الســـابع	١٠١
الحرز الثـــامن	١٠١
الحرز التاســـع	١٠٤
الحرز العـــاشر	١٠٥
المداخل الشيطانية	١٠٩
حصن العـــلم	١١٣
خطوات الشيطان	١١٤
الـــكبائر	١١٦
الصـــــغائر	١١٧
وختـــاما	١١٩

* * *